

تأليف

هادي رشيد الجاوشلي

م. سرمد حاتم شكر

المظاهر الاقتصادية في تراث منطقة كردستان

تاليف

هادي رشيد الجاوشلي

هذه الدراسة تتعلق بالمظاهر الاقتصادية والمقومات الحياتية والمعيشية والمهن الرئيسة في تراث الشعب الكردي مع البحث عن الاساليب القديمة لممارسة الزراعة

١٩٨٧

(بسم الله الرحمن الرحيم)

المقدمـــة

ان معالم التراث جزء هام من اجزاء التأريخ وتشتمل على جوانب متعددة منها اجتماعية ـ اقتصادية ـ عمرانية ـ ثقافيـــة ـ اديبـــة .. الخ . كما ان ملامحها صورة حية للحياة .

وفي هذا المؤلف اقتصرت بحثي على تراث المظاهر الاقتصادية التي كانت سائدة في منطقة كردستان ، وان اكثرية المعلومات المركزة والموجزة الواردة في هذا المطبوع مستقاة من واقع المجتمع وعلى هـــدى مبـــادىء علم الاقتصاد ومفاهيمه ، واعتقد بأن قيمة هذه البحوث ستزداد كلما مضى عليهـــا الزمن في المستقبل .

المؤلف

الباب الاول

المدخل لدراسة تراث المجتمع الكردي الاقتصادى

هذا الفصل من الكتاب يتناول تفاصيل البحث للمواد المعروضة في الابواب والفصول القادمة وبغية ان تكون هذه الدراسة راسية على أسس وقواعد علمية لابد من معرفة الامور والمواضيع التي تدخل ضمن منطق ومباديء علم الاقتصاد في العصر الحاضر ، وهذا العامل بدوره يؤدي الى سرد آراء بعض علماء وكتاب الاقتصاد والاجتماع في ثنايا هذا المبحث وغيرها ، وعلى ضوء تلك الآراء تحدد الجوانب المعنية من التراث الكردي التي ستكون موضوع الدراسة والتحليل في هذا الكتاب بقدر تعلق الامر بالمظاهر الاقتصادية والكيان الاجتماعي • وسنقف اولا على آراء بعض كتاب الاقتصاد ثم الاطلاع على وجهة نظر عدد من علماء الاجتماع ومن ثم الخوض في تفاصيل الموضوع بسرد المعلومات الكافية حول القواعد والركائز التي كانت سارية في المجتمع الكردي •

١ ـ مباديء الاقتصاد ودراسة التراث :

حول تعريف النشاط الاقتصادي في المجتمع يقول الدكتور عبدالحكيم[١] الرفاعي ما يلي : ـ

---

(١) الاقتصاد السياسي الجزء الاول ، الدكتور عبدالحكيم الرفاعي ، الطبعة الثانية ١٩٣٥ القاهرة •

« الاقتصاد السياسي احد العلوم الاجتماعية التي تدرس حالة الانسان في المجتمع وتحلل الظروف التي يعيش فيها وتبين القوى التي تلعب دورها في الحياة الاجتماعية ... ولما كانت الطبيعة لا تشبع حاجاتنا من تلقاء نفسها لذا يهتم الاقتصاد بدراسة مجهودات الانسان التي تبذل في سبيل اشباع الحاجات » .

ويقول في ص ٥ من نفس المؤلف « وقد يكون من اوضح التعاريف تعريف الاقتصادي الانجليزي مارشال ... « بأنه العلم الذي يدرس نشاط الانسان في المجتمع من وجهة الحصول على الاشياء المادية او استعمالها » .

ثم يرى نفس المؤلف الاخذ برأي الاستاذ تروش بصدد تعريف الاقتصاد القائل « بأن علم الاقتصاد هو دراسة نشاط الانسان في المجتمع من وجهة حصوله على الأموال والخدمات ... » .

وفي ص ١٩ من الكتاب يذكر استاذنا المذكور الطريقين الرئيسين لبحث الاقتصاد وبصددهما يذكر بأن « هناك طريقتان رئيستان لبحث الاقتصاد السياسي ، الطريقة الاستنباطية والطريقة الاستقرائية وهاتان الطريقتان لا تستخدمان في الاقتصاد فحسب ، بل في غيره من العلوم الاجتماعية » .

« فالطريقة الاستنباطية هي التنقل من العام الى الخاص ... الطريقة الاستقرائية هي ان تنتقل من الخاص الى العام او من معرفة امور جزئية مسلم بها الى وضع مبدأ عام » .

اننا سنحاول باللجوء الى الطريقتين معا لدراسة الظواهر الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع الكردي بغية التوصل الى المبادىء العامة التي كانت سارية في المجتمع القديم .

ويقول الدكتور محمد على الليثي الاستاذ بجامعة الاسكندرية في كتابه التحليل الاقتصادي « وتنقسم الدراسة العامة في الاقتصاد الى دراسة مجموعة من المشاكل وتتكفل بالرد على الاسئلة الاساسية الآتية : ماذا ينتج من السلع والخدمات وبأي الكميات ، كيف ينتج ما نقرر انتاجه ، وكيف يجري توزيع المنتجات ، وكيف يمكن تحقيق التوازن الاجتماعي » ؟.

وعلى هذا الاساس سأبحث كل ما يتعلق بالمظاهر الاقتصادية للتراث الكردي التي تمثل الركائز والقواعد الاقتصادية العامة وبجانب ما تقدم يدخل ضمن مفهوم هذه الدراسة المهن الرئيسة التي كانت سائدة في المجتمع القديم فعليه لابد من البحث عن الزراعة ـ تربية الحيوانات ـ الصناعات المحلية وغيرها .

كما ان مفهوم هذا العلم في محتوياته يشمل دراسة اساليب المعيشة كالمأكل والملبس وطرز البناء واضف الى ذلك من الضرورة بمكان معرفة الالوان الاخرى من الحياة الاقتصادية القديمة كالتجارة ونقل السلع ووسائل الانتاج ومصادر الماء ومواد الخام وغيرها ، كما نحاول دراسة المفاهيم والمبادىء الاقتصادية من الناحية التراثية .

ولهذا الجانب الاقتصادي صلة بصميم الواقع القديم للبيئة الاجتماعية الكردية وتركيبها ووحداتها العضوية والمكانية التي نستلهم منها دراساتنا هذه المتعلقة بالتراث الاقتصادي القديم بالشكل الذي كان عليه والصورة التي كانت عليها قبل تسرب الحضارة الغربية الى المناطق الكردية فان هذه المناطق وغيرها من مناطق العراق حافظت على تراثها القديم لحين حدوث الحرب العالمية الاولى في سنة ١٩١٤ .

ذكرياتي حول الموضوع لا تسبق سنة ١٩٢٧ ومع ذلك اكتنزت ذاكرتي أيضا ما سمعته ممن هم اكبر مني سنا امورا كثيرة متعلقة بالتراث فرغم ذلك لجأت الى المصادر العلمية الاجتماعية والاقتصادية لغرض تحديد المفاهيم والمبادىء فقط •

فطيه يكون الينبوع الاساسي الذي استقي منه معلوماتي حول كيان التراث الاجتماعي والاقتصادي دراستي الشخصية للمجتمع ولربما يتسائل البعض هل بامكاني الخوض في هذا الموضوع على هذه الوتيرة اي استقراء المظاهر الاقتصادية والحياة الاجتماعية والاسس التي رست عليها من مصدرها الاصلي وتعني بذلك ضرورة توفر المعلومات اولا ثم درس البحث على ضوء قواعد العلم الحديث ، لا شك انه كلما ابتعد المرء عن الدائرة المكانية الحضرية أي المدن يتسنى له اعطاء الموضوع حقه بصورة جلية حيث في بيئة القرى والارياف يتمكن الباحث من دراسة الجذور الاصلية للكيان الاجتماعي ، واستمح القارىء عذرا كأي مؤلف آخر لابحث عن مدى امكانية درس هذا الموضوع وبالاخص انني بصدد دراسة التراث الاجتماعي والاقتصادي ولشخصية المؤلف مساس مباشر بدراسته ، بقدر تعلق الامر بالموضوع لابد من التطرق عن مدى تعلقي في البيئة الكردية البدائية لذا اضطررت ان ادون بعض السطور عن حياتي ، بعد بلوغي الاربعين يوما من العمر اقصيت من دار والدي حسب العادة القديمة وانيطت تربيتي بمربية قروية وسكنت في غرفة في نفس البناية التي يسكن فيها العمال الزراعيين واتذكر انني كنت اقسم المأكولات المستحضرة لي على الاطفال الساكنين في الغرف المجاورة ثم اهرب الى غرفة احد العمال الزراعيين واتناول من طبخهم ونقلت الى دار والدي بعد بلوغي السن الرابعة من العمر ثم لم تنقطع علاقاتي بالبيئة الريفية لممارسة والدي

الزراعة ، ومع توالي الزمن وبحكم ممارستي وظائف الدولة تجولت في معظم القرى من محافظات السليمانية واربيل وكركوك وغيرها •

كما درست عن كثب الاحوال الاقتصادية والاجتماعية للاكراد المقيمين في المناطق المجاورة للعراق •

ومن ناحية اخرى اوليت العناية بدراسة علم الاجتماع منذ اكثر من خمسة واربعين سنة واول كتاب قرأته في علم الاجتماع كان للاستاذ نيقولا الحداد كما واليت بالاطلاع على اكثرية المؤلفات الاقتصادية والاجتماعية وغيرها الصادرة باللغات العربية والتركية والكردية والانكليزية بالاضافة الى دراستي لمختلف الظواهر الاقتصاديةوالاجتماعية أثناء سفراتي لعديد من اقطار العالم •

وبهذه الامكانيات الشخصية اتقدم بالبحث عن الحياة الاقتصاديةوالبنيان الاجتماعي في منطقة كردستان وبنتيجة دراساتي وملاحظاتي المتوالية لم اجد فوارق محلية او اختلافا في مظاهر الحياة ومقوماتها بين اكراد سائر المناطق الجغرافية من حيث كيان الهيئات والفرص والوحدات الاجتماعية والعادات والتقاليد وانما الحياة في تلك الديار اقرب بعضها للبعض وان كانت بينها مسافات شاسعة فطابع الحياة فيها واحد وتتجلى فيه الروعة •

وبعد هذه المقدمة الوجيزة لابد ان اتساءل من اين سأبتدىء واين سأنتهي في دراسة هذا البحث •

وللخوض في الموضوع بصورة اساسية ضمن الحدود المرسومة في علم الاقتصاد والاجتماع فكلما كان الموضوع يتعلق بالاسس العامة واقرب الى اختصاصي لابد وان يجد القارىءفيه شيئا من التفصيل وبالاخص في المواضيع

الرئيسة التي تدخل ضمن العمود الفقري للابحاث المنشورة في هذا المؤلف •

اما الامور الفرعية فسأوجز في البعض منها واترك البحث عنه بالتفصيل للمختصين حيث ان علم الاقتصاد واسع الآفاق ينطوي في مفهومه على امور كثيرة بعضها يعتبر في حقل الدراسة الجديدة علما او فنا خاصة فعليه ان الابحاث الاتية ستشمل دراسة وافية وشاملة لما يدخل في هذا النطاق واذن لابد من السؤال عن ما هي المواضيع التي يعتني بدراستها علم الاقتصاد اولا ومن ثم البحث عن النواحي المشمولة بالدراسة الاجتماعية

فعليه ان كتابنا هذا يشمل البحوث الاقتصادية المتقدم ذكرها • ويلي هذا الباب من الكتاب باب آخر خاص بالتراث الاقتصادي ومقوماته ويليه الباب الخاص بحاجات المجتمع والمهن الرئيسة ويليه موجز عن مبادىء الاقتصاد القديم ومفاهيمها •

وسأحاول ضمن امكانياتي ان تكون هذه الدراسة من جهة مستندة على صميم الواقع للتركيب الاجتماعي الكردي في عالم التراث ، ومن جهة اخرى درس المفاهيم الاقتصادية ومظاهرها بعد تسليط الاضواء العلمية ومبادئها على تلك القواعد التراثية ، وهكذا رغم اعتقادي بصعوبة هذه المهمة لعدم توفر المصادر القديمة الخاصة بالمجتمع الكردي من ناحيتي الاقتصاد والاجتماع •

هذه العوامل ادت الى ان ابحث اكثر فأكثر في كل خطوة اخطوها في البحث بغية رسم صورة تراثية واضحة المعالم للحياة الاقتصادية القديمة في كردستان وتسجيل هذه الصورة التراثية التي تعتبر جزء من التاريخ في المستقبل حيث لا تزال بعض تلك الملامح القديمة متواجدة ولابد بمرور الزمن سيأتي يوم قريب ان المعالم التراثية ستكون محلها المخطوطات والكتب والتغيرات الحضارية المستمرة تزيلها نهائيا من الوجود •

الباب الثاني

مقومات التراث الاقتصادي

لقد عاش الانسان على وجه البسيطة وهو مخلوق بسيط في مفاهيمه وعيشه فأول ما احتاج اليه من مقومات الحياة المأكل ثم الملبس ثم سكن كهفا او كهوفا طبيعية وبعد ان ارتحل هذا الانسان البسيط من عصر الى عصر قام بالبناء والتجمع في محلات معينة موفورة الرزق ، وهكذا بنى بيتا وأتى الآخرون وقلدوه وبنوا لهم مساكنا ، وهذا التجمع الابتدائي رسم اول خيوط المدنية والحضر والسكن في القرى وان التقليد والمحاكاة والخبرة والاكتشاف بطريق الصدف كانت من اول بوادر التعليم في المجتمع البدائي . وان كافة الشعوب مرت بهذه الادوار في فجر التأريخ او قبل ذلك بقرون وان الشعب الكردي تقدم وتحضر في وقت أسبق من بعض الشعوب الاخرى وبنى له حضارة معينة تمثل كافة مناحي الحياة والآثار التاريخية والميراث الاجتماعي للشعب يؤيد ما ذهبنا اليه . وفي هذا الباب فان البحث يدور حول اهم مقومات الحياة في المجتمع القديم وهي البناء ـ الملبس ـ المأكل ـ الثقافة وان القواعد التي رست عليها اعمدة الحياة الاربعة المذكورة بعضها تطورت خلال النصف الثاني من هذا القرن وبعضها لم تتناولها يد التغيير ، واننا في بحثنا هذا سنلقي الضوء على المفاهيم المذكورة بشكلها التراثي .

١ ــ البنــاء :

ان البناء القديم طرازه التراثي في مختلف البيئــات الجغرافيـــة ليس على شكل واحد فاذا كانت المنطقة جبلية ومتوفر فيها الاحجار فان ابنية القرى والمدن قديما كانت تبنى بالاحجار وتسقف بالخشب ، اما في المناطق الســهلة فان الابنية كانت تشيد عادة بالمواد الطينية اي اللبن وتستعمل فيها الاخشاب بقلة للتسقيف وبالاخص اذا كان السقف على شكل مخروطي • فالغــالب ان الدور تشيد بطابق واحد واحيانا بطابقين • وفي المدن كانت دور الســكن تضم عادة اسرة واحدة متكونة من عدة عوائل وبمرور الزمن اصبحت على الاغلب كل عائلة تسكن دارا خاصا بها •

بالاضافة الى ما تقدم فان الاكراد منذ آلاف السنين قداستعملوا الطابوق في الابنية وان صنع الطابوق كان يجري في كور على طراز قــديم ولا تزال في اكثرية المدن تلك الانواع من الكور المذكورة هي الشائعــة تنتج الطــابوق من نوع متين لا يختلف عن الطابوق الميكانيكي • فاستعمال الطابوق كــان محصورا بالابنية المشيدة في المدن بالطين الاحمر هي المادة الشائعة لغرض البناء بالطابوق الا ان الاساس كان يبنى بمادة خاصة اشــبه بالسمنت الحالي وهي متكونة من النورة والرماد وهذه المادة تمنع الرطوبة وتجعل اساس البناءقويا • وبجانب دور السكن كان هنالك محلات الزراعــة لسكنى المــزارعين وخزن الحبوب هو نوع من البناء يضم غرفا كثيرة لا تزال تسمى مثل هــذه الابنية (بالحصار) •

فالمدن والقصبات الكبيرة لم تكن تضم فقط دور الســكن والدواوين والحصارات وانما بجانب تلك الابنية كانت ولم تزل فيها جوامع ومساجد وهي

محل العبادة للاكراد المسلمين ، كما ان هنالك كنائس للمسيحيين الاكراد في مناطق سكناهم •

ومنذ القديم كل مدينة تحتوي على اسواق منها مكشوفة ومنها على شكل ابنية خاصة مشيدة على جانبيه دكاكين ويتخللها طريق بين القاطعين ومسقفة وهذه الانواع من الدكاكين تسمى القيصريات •

اننا لا نبحث عن تطور طرز البناء الحديث وانما اختصرت البحث على الفلكلور القديم حول طرز البناء وان مثل هذه الابنية القديمة كانت في بعضها تتجلى فيها روعة البناء وجمال الطبيعة وبالاخص في قلاع الامراء ودور سكن القرى الجبلية ، كما ان استعمال الشبابيك والابواب وتسقيف البناء كانت في بعض الابنية تأخذ شكلا خاصا مما كان يدل على الذوق والفن البارع في تشييد الابنية وتجميلها وهذا الجمال من البناء مرده النقوش والتزيين في البناء والحدائق المحيطة بها واحيانا كانت روعة البناء ترجع الى جمال التخطيط الهندسي والفن البارع • ومن اغرب الابنية المشيدة في بعض القرى والقصبات الابنية التي تشبه بدون استعمال مادة لاصقة كالطين او الجص أو غيرها ، اي ان البناء كان يشيد بمجرد استعمال الحجر المصقول ويتخلله بعض القطع الخشبية لربط اجزاء البناء فلربما يقال : ان مثل هذه الابنية لا تكون متينة وانما الحالة على عكس ما يتصوره المرء فهذا النوع من المشيدات امتن من غيرها واحيانا تشيد على طوابق ثلاث وان منطقة هورامان الكردية ابنيتها مشيدة بهذا الاسلوب •

وهنالك مناطق باردة جدا القسم الغالب من البناء فيها مشيدا تحت الارض وقسم قليل منها يقع على سطح الارض والسبب في ذلك كون تلك المناطق تكسوها الثلوج في اكثر فصول السنة •

هذه هي مقدمة بسيطة عن طرز البناء القديم كما قلت حصرت الدراسة على موضوع فن البناء التراثي في حدود الفن القديم ودراسة موضوع الابنية الحديثة خارج عن هذا البحث وتترك البحث عنها أيضا للاخصائيين لمقارنةمدى تأثر طرز البناء الحديث في المدن بالفن المعماري القديم ، ومن جهة اخرى مدى الاخذ بالقواعد والاسس الفنية الحديثة من الابنية الجديدة ، وثم تتساءل على ضوء ما تقدم من المهندسين المعماريين هل ليس بالامكان تطوير فن البناء الكردي بالشكل الذي يحافظ على ذاتيته التاريخية مع مدى امكانيةالاستفادة من المواد المحلية المتوفرة للبناء وكيفية تطويرها بشكل حديث مما يؤدي من جهة المحافظة على الثروة المحلية ومن ناحية اخرى تمشيا معمبدأالاكتفاء الذاتي في الحقل الاقتصادي الذي اتبعه الاكراد القدماء •

فارجع معلقا على طرز البناء القديم لم اقل جزافا عندما امتحت طرز نوعية البناء حيث ان التحريات الاثرية والشواهد والمعالم التاريخية الباقية لدليل ثابت لتعزيز ما ذهبت اليه في هذا البحث •

ومن الجدير بالذكر ان تكاليف البناء في العصور القديمة كانتمحدودة القائمين بالعمل هم البناء مع عدد من العمال الماهرين ، كما ان الابواب والشبابيك كانت من صنع النجار •

٢ ــ الملبس :

رغم تنوع الملابس في الاقاليم الكردية ولكن درجة هذا لاختلافوالتنوع لا تصل الى حد الاختلاف الجذري ونوعيتها وانما تفصال الملابس في زيها لا تختلف اختلافا جوهريا في البيئات المختلفة وان تنوع الملابس ان وجد في اي محيط اجتماعي دليل على تقدمها • وبهذا الشأن يقول العلامة نيقولاالحداد

في مؤلفه الجزء الاول ص (١٢٨) ما يلي « كلما تقدمت الهيئة الاجتماعية او جماعة او مجتمع من المساواة كثر تنويع الازياء والامر بالعكس اذا كانت الجماعة او المجتمع مؤلفة من طبقة معينة محددة وكل طبقة تبقى في درجتها ولا تطمح الى درجة غيرها .. وكذا يستطرد المؤلف المذكور ويقول وكل جماعة ديمقراطية لا تحدد انظمة سياسية او التقاليد طبقاتها مع وجود التفاوت بين افرادها في مظاهر الحياة يكون صغاره دائما في طموح الى تقليد كبارها توصلا الى المساواة الظاهرة بينهم اذ لا حواجز تفصل بين جانبين وهذه العبارات المقتطفة من مؤلف هذا الكاتب الاجتماعي الشهير ينطبق على موضوع الازياء الكردية تمام الانطباق حيث في الازمنة القديمة لم تكن هنالك فوارق في نوع الملبس بين الرئيس والمرؤوس وبين الحاكم في الزي وغيرها من مظاهر الحياة بين أبناء الشعب .

فان كثيرا من العلماء والكتاب الاجانب في مقالاتهم وبحوثهم لدى مقارنة الازياء الكردية القديمة مع غيرها من الشعوب ثبت لديهم بأن ذوق ونوعية الملابس الكردية تنم وتدل بأنها حصيلة حضارات قديمة وسباقة . فان ملابس الرجال وان اختلفت بعض الشيء البسيط في مظهرها الخارجي لا تختلف بعضها عن البعض في سائر البيئات فهي تتكون من سروال وقميص وسترة وتسمى احيانا (كرتك وشروال) او (رانك وجوغل) او (مراد خاني) الى آخره .

فان المادة التي كانت تصنع منها تلك الملابس قديما كانت تتألف من مواد ومنسوجات محلية في اغلب الاوقات كانت نوعيتها اقمشة قطنية مصنوعة بالحياكة او من وبر المعز او الصوف وهناك مناطق اخرى فيها ملابس الرجال تتكون من الزبون والسترة التي تسمى(بالسلطة) اما لباس الرأس فعادة على

نمط واحد فيتكون من الكلاو واليشماغ الاعتيادي او الحريري ويقتضي بأن نذكر هنالك في بعض المناطق لباس الرأس فيها يشبه القبعة الحالية وهومصنوع من اللباد ويأخذ اشكالا معينة ، اما بالنسبة لزي الجسم فعادة ان الاكراد منذ القديم يحلقون الشوارب بشكل خفيف •

وازياء النساء كانت متكونة من الثوب والزبون والسخمة •

اما بالنسبة للباس الرأس فهي اشبه شيء بلباس الرأس عند الرجال مع اختلاف بسيط فانه يتكون من اقمشة ملونة وذات زينة خاصة بالاضافة الى ذلك فان النساء الكرديات عرفن استعمال الحلي الذهبية والفضية كالاقراط والاساور والقلادات وغيرها منذ القدم ، وان المرأة قديما لم تعرف الحجاب في زيها رغم الذوق والجمال المتوفر تتجلى بروحية الحشمة والوقار ، كما ان العادة القديمة ان النساء يسرحن شعورهن على شكل اعتيادي او اشبه شيء بالجدائل •

وان المرأة في بعض المدن اقتبست فترة من الزمن الحجاب التقليدي من بعض الشعوب المجاورة وهذا التقليد على وشك الزوال الآن •

ينبغي ان نذكر بأن زينة النساء كانت ملابسهن وحليهن ، وان زينة الرجال منذ القديم هي الاسلحة التقليدية وبالاخص الخنجر الذي كان لا يفارق الفرد في الازمنة الغابرة •

وهكذا فان الملابس والازياء التراثية المذكورة المتطورة ذاتيا مع روح الزمن كان من مزاياها انها تصلح للاستعمال اثناء اداء العمل وفي اوقات الراحة ايضا •

٢ ـ المأكولات :

ان فن الطبخ وتنوع المأكولات على طراز راق عرفه التراث الكردي عبر اجيال عديدة من التأريخ •

فرغم كون المأكولات والمواد الغذائية الاساسية تختلف باختلاف البيئات الجغرافية من حيث توفر المياه وطبيعة الاراضي واختلاف المناخ ومقدار هطول الامطار في الشتاء ، حيث ان المناطق المتوفرة فيها المياه وبالاخص المناطق الجبلية كان فيها الرز المادة الاساسية للغذاء •

اما المناطق الاخرى وهي اكثرية السهول ضمن موطن الاكراد المعتمد ريها على الامطار او شحة المياه والا يتوفر فيها انتاج الرز بالكميات الكافية للاستهلاك المحلي • ولم تزل الحنطة هي المادة الرئيسية كغذاء اعتيادي للمواطنين ، علما بأن استعمال الحنطة لا يقتصر على صنع الخبز وانما تستخدم لاغراض عدد من المأكولات كالبرغل والجريش وغيرها بالاضافة الى الاستفادة من الحنطة كمادة للحلويات منذ الازمنة القديمة ، كما ان وفرة الماشية كالاغنام والماعز والابقار في سائر انحاء كردستان كان انتاج الدهن الحيواني يكفي لسد الحاجات المحلية • ولم تستخدم الزيوت النباتية للطبخ رغم توفر مثل هذه الزيوت في بعض ارجاء كردستان المكتظة باشجار الزيتون فكان زيت الزيتون يقتصر استخدامه لاغراض صحية ونادرا لاحضار بعض أنواع الطعام ولم تزل متوفرة فيها الانواع المختلفة من الفواكه والخضراوات التي تسد الحاجة المحلية •

والسكان اعتادوا قديما على خزن المواد الغذائية ولم يكن ذلك مقتصرا على الحنطة والرز والحبوب الاخرى كالحمص والعدس وانما كانوا يحتفظون

باللحم لفصل الشتاء مع صنع بعض المواد الغذائية الاخرى بطريقـة التجفيف ان بحثي عن المواد المعيشية لم يكن على سبيل الحصر وانما على سبيل المثال فلنرجع الى الماضي ثانية فان الاكراد اول من استعملوا النار لاجل الطبخ ، كما ان بعض المأكولات التراثية التقليدية التي لم تتأثر كغيرها من الامور بعوادي الزمن وتقلباته ، ولا تزال انواع تلك المطبوخات والمأكولاتعلى حالتها السابقة وانها دوما موضع اعجاب اخواننا العرب والشعوب المجـاورة وكافـة الرواد والسواح الذين يزورون ارجاء هذه المناطق يذكرون في مؤلفاتهم حسنالضيافة مع تقديرهم واعجابهم بما يقدم اليهم من الطعام على موائد الضيافة وتتميزهذه الظاهرة بالذوق والكرم التقليديويعتبرونه كميراث اجتماعي ودليل علىاصالة هذا الشعب الابي •

وجدير بالذكر ان مصنوعات الالبان كانت متنوعة منها الزبـد الحيواني والجبن الشتوي والجبن الصيفي والدهن • كما هنـالك أنواع عـديدة من المطبوخات المادة الرئيسية فيها اللبن ومنها (داندوك ــ كهشك ــ دوغاوا ــ بهربهسيل ــ كفته به دو وغيرها •

وهكذا ان المحيط المحلي ومنتوجاته المتنوعة النباتية والحيوانيـة كانت تسد حاجات المنطقة والمواد الزائدة عن الحاجة كانت عرضـة للتصـدير او التبادل •

٤ ــ مظاهر الثقافة والعلوم :

لقد ترعرعت بين فترة واخرى حضارات قديمة في ربوع الاكـراد فان التاريخ القديم وعلم الآثار والانسان لقد اثبت هذه الجهة •

فعليه ان الثقافة التي نمت كانت ذاتية وبجانب ذلك كأية حضارة اخرى تأثرت واقتبست مبادىء الحضارة النافعة عبر التاريخ المديد من غيرها من الامم.

كان لدى الاكراد القدماء ثقافة خاصـة بهم وكتابة خاصـة ذات حروف واشكال لا تشبه الحروف الحالية وقد انقرضت الكتابة القديمـة وحل محلها الفارسية والعربية تدريجيا فكانت هنالك مدارس ثقافية وصناعية في كردستان القديم وبعد الفتح الاسلامي اصبحت المساجد والجوامع المحل الرئيسي لتدريس شتى انواع العلوم الدينية وغيرها والقارىء ليس بحاجة بأن نذكر له ونعـدد اسماء الوف من علماء الاكراد الذين ساهموا في بنـاء الثقافـة والحضـارة الاسلامية فعليه ان الثقافة الاسلامية من ناحية المعتقدات والعلوم المختلفة أثرت تأثيرا فعالا في الثقافة الكردية القديمة وغيرت مجراها الى طور جديد في نواحي عديدة الا التقاليد والعرف كالشعر والغناء والادب والقصص والحكم بعكس النواحي الثقافية الاخرى كانت ولم تزل تحافظ على تراثها الاجتماعي القديم لحد الآن .

اضف الى ماتقدم ان هذا الركن من الحياة الاجتماعية المنوه عنه لا أرى ضرورة للبحث عنه بالتفصيل لوجود مؤلفات لا بأس بها من حيث العدد ألفت من قبل الاكراد منذ عشرات السنين وبالاخص في السنوات الخمسين الاخيرة تم تأليف وتدوين عشرات الكتب عن الادب والغناء والقصص والحكم والشعر بعضها كانت باللغة الكردية وقسم آخر كانت باللغة العربية والفارسية والروسـية والانكليزية . ولا يمكن للكاتب الاجتمـاعي التغاضي عن التنويه بعلم الطب القديم لدى الاكراد وكانت اكثرية الادوية تستحصل من النباتات او بعض المنتوجات الاخرى ، وفي البيئات القديمة المختلفة كان هنالك نوعان من الاطباء

المحليين فالفريق الاول هم الجراحون ومجبرو الكسور والاخصائيون الآخرون في هذا الحقل منهم من كانوا يمارسون طبابة العيون وآخرون يمتهنون طبابة الابدان وفي الطب القديم انواع خاصة من الادوية وطرق المعالجة والوقاية من الامراض وخاصة بالنسبة للامراض المتوطنة ولا شك ان تلك الاساليب هي نتائج تجارب وخبرات طويلة وحصيلة ادمغة المفكرين منذ الوف السنين ارى ما اراه الاستفادة من دراسة هذا الموضوع الخطير من قبل لجنة من الاطباء الاخصائيين فاولا تدوين نوعية تلك الادوية وتحليلها كيميائيا ثم دراسة مدى امكانية معالجة بعض الامراض بتلك الادوية او وفق تلك الاساليب •

وانني اعتقد جازما انه من الممكن في بعض المجالات الاستفادة من هذه الخبرات القديمة في حقل الطبابة الحديثة بعد تطويرها ودراستها دراسة علمية وليس في هذا الاقتراح من عجب او غرابة حيث ان الصين الشعبية كانت سباقة بعد الحرب العالمية الثانية بالاستفادة من فن الطب الحديث من الشرق والغرب ومع ذلك قامت بتطوير الطب القديم •

وهنالك ناحية هامة اخرى في حقل العلوم لابد من التطرق اليها ونقصد بذلك الصناعة المحلية ، ان الاكراد القدماء كانوا مكتفين بمنتوجاتهم الصناعية في الازمنة القديمة وكانوا يقومون دوما بتطوير الآلات المستعملة في الصناعة واكثرية تلك الصناعات كانت يدوية ومنها تنتج وتصنع بواسطة آلات بسيطة، وانما نذكر بعضها على سبيل المثال كالمنسوجات وصنع الزوالي واللباد والادوات المنزلية والزراعية وصنع مواد البناء والخزف والنجارة وغيرها من صنوف الصناعة وكان هنالك مختصون او صناع ماهرون يمتهنون الصناعات المختلفة ويزودون سكان المدن والريف سواء بسواء بحاجاتهم الضرورية •

ذكرت هذه الفذلكة التأريخية عن الصناعات القديمة التي أصبح اكثريتها في طريقها الى الزوال ومنها ما اندرست في يومنا هذا ، فأرى فتح متاحف محلية في مراكز محافظات الحكم الذاتي وغيرها وجمع شتى صنوف الصناعات المحلية منها لتبقى كمآثر تأريخية للاجيال الصاعدة ، ومن جهة اخرى قيام المختصين بدراسة مدى امكانية الاستفادة من بعض صنوف تلك الصناعات وتطويرها وتشجع فئة من الناس بوسائل مغرية لممارستها بغية ان تبقى هذه الانواع من الصناعات المحلية خيطا لربط الماضي بالحاضر والاستفادة منها للاغراض السياحية والدعائية .

وهكذا فان المجتمع العراقي القديم بشماله وجنوبه كان مهدا للحضارات القديمة وظهرت فيها انواع من الصناعات القديمة في العهود التاريخية الغابرة. ولم تكن المناطق الكردية في العراق وغيرها وكذا المناطق الاخرى من العراق بحاجة الى الصناعات الاجنبية وان بلادنا العراق كان مكتفيا بانتاجه المحلي وكان الصناع وارباب المهن يقومون بزيادة انتاج البضاعة غالبا بغض النظر عن العرض والطلب اللحلي حيث ان الزيادة في المنتوجات كانت اكثريتها تصدر الى البلاد المجاورة وبضائع اخرى تصنع وتنتج على اساس الاكتفاء الذاتي .

الباب الثالث

المهن الرئيسة وحاجات المجتمع الاقتصادي

ان الحاجات المتنوعة للمعيشة منذ فجر التاريخ ادت الى سلوك طريق تقسيم الاعمال حيث ليس بامكان فرد معين سد حاجاته من المأكل والملبس وغيره ، وكلما تقدمت الانسانية عبر تاريخها الطويل في اوجه الحضارة والمدنية تطورت وتنوعت تلك الواجبات ضمن الهيئات الاجتماعية .

وهكذا ان حاجات الانسان الاقتصادية المختلفة والمتنوعة في المجتمع الحضري وتقسيم الاعمال بين افراد المجتمع ادت الى ضرورة اتجاه كل فئة معينة من الناس الى نوع من الاعمال الرئيسة .

وهذه المظاهر الاقتصادية في حياة الانسان بزت وتطورت وتنوعت اكثر فاكثر كلماخطت خطوات جديدة نحو المدنية ، وهذا التخصص النوعي في العمل ادى بدوره الى تحسين وسائل الانتاج وتنويع المنتوجات والمصنوعات لسد حاجات افراد المجتمع الذي هو بحاجة اليها بغية العيش برغد وهناء .

وان الاكراد الذين هم في مناطق سكناهم منذ فجر التاريخ وبالاحرى قبل موعد الانسان مع عصر التاريخ وان الدلائل الاثرية تؤيد بأن هذا الشعب تقدم وتحضر منذ العصور الغابرة المذكورة ومارس واتقن اعمال مختلفة كالزراعة ــ وتربية الحيوانات والصيد ــ والبناء والنجارة ــ والصناعة وغيرها من المهن .

وسيكون موضوع هذا الباب البحث عن المهن الرئيسة في المجتمع القديم مع بيان اسسها وقواعدها التراثية .

ان بحثنا هذا يتناول دراسة اساليب الزراعة بشيء من التفصيل اكثر من غيرها .

١ ـ الزراعـة :

مارس الاكراد الزراعة قبل غيرهم من الشعوب في شمال العراق منذ اكثر من عشرة آلاف سنة او اكثر اذ قد انتقلوا من الادوار البدائيـة الى حـالة الاستيطان وقد ثبت ذلك لدى المعنيين بالآثار القديمة بنتيجة التحريات الاثرية التي جرت في بعض المناطق الكردية من العراق وايران وغيرهما وان انتقـال المجتمعات الى حالة الاستيطان كان في الوهلة الاولى بالمناطق التي فيها الميـاه وبالقرب منها اراض صالحة للزرع . وهكذا باشـر الاكراد بممارسـة مهنة الزراعة منذ أقدم الازمنة التاريخية. لذا فان الاكراد اول من اخترعوا الآلات الزراعية البسيطة كالمحراث وغيره وتشغيل الحيوانات وتأهيلها وتربيتها لاغراض زراعية ، وان الفن الزراعي القديم قد تطور تطورا بسيطا عبـر الوف السنين وهذا التطور ناجم بنتيجة الاختبارات المحلية منـه ما يخص تحسين الآلات الزراعية واستصلاح الاراضي الجبلية والسهلية والاستفادة من المياه الباطنيـة والجوفية وتنويع الزراعة وتسميد الارض وغيرها من الامور الزراعية القديمة التي كان لها طابع خاص وحيث المدنية الحديثـة بدأت رويدا تؤثر في تغيـير اساليب الزراعة في اكثر المناطق الزراعيـة فرأينا من الضـرورة بمكان تثبيت الواقع الزراعي والعمل بنمطـه القديم قبل ان تزول اكثر تلك المعـالم بمرور الازمان في المستقبل .

وعليه سنوالي البحث عن كل ما يتعلق بالموضوع من نواحيه المختلفة ونحصر البحث فيما يلي :ـ كيفية تهيئة الارض للزراعة ـ الادوات الزراعية ـ الآفات الزراعية ومكافحتها ـ انواع الزراعة ـ العلاقات الزراعية ـ ارواء الارض ـ استصلاح الاراضي ـ كيفية الاستفادة من المنتوج الزراعي.

أ ـ كيفية تهيئة الارض للزراعة :

في اغلبية المناطق الزراعية منذ القدم اتبع المزارعون في استثمار الاراضي الطريقة المسماة (بنيرونير) ويقصد من ذلك زراعة الارض سنة وتركها سنة أو أكثر في بعض المناطق الجبلية . ان قسما من الاراضي كانت تستثمر وتفلح سنويا الا انها كانت تزرع سنة بالمحاصيل الصيفية وفي السنة الثانية تزرع فيها المحاصيل الشتوية اي الخروج عن طريقة نير ونير ولكنها في نطاق ضيق أما كيفية استثمار الارض على طريقة (نير ونير) وليس المفهوم العلمي منه ترك الارض نهائيا في احدى السنين وان تركت الارض على الوجه المذكور تسمى بور وان هذه الطريقة اسلوب آخر لاستثمار الارض أي ترك الارض في احدى السنين بورا وفي السنة الثانية تفلح .

ففي طريقة او اسلوب الزراعة المسمى نير ونير تفلح الارض مرتين في العام الاول وغالبا وتعد للزراعة في العام الثاني، وفي السنة الثانية تزرع الارض بالمحاصيل المعدة لها وتتبع هذه الطريقة غالبا في الوقت الحاضر بالنسبة للزراعة الشتوية وان فلاحة الارض او بعبارة اخرى حراثتها في عام ثم زرعها أي بذرها في العام الثاني مما يزيد في خصوبة الارض وزيادة الانتاج بخلاف ما لو تم زرعها في كل عام ولكن لا شك بنتيجة ازدياد ونمو السكان والاستعانة بالآلات الزراعية في السنوات السابقة القليلة .

ان اكثرية الاراضي الزراعية لابد وانها تزرع سنويا في المستقبل للحاجة الماسة اليها وفي هذه الحالة ايضا لابد من حراثة الارض من الناحية الفنيةلانتاج المزروعات بشكل جيد وفي حالة ترك الطريقة السابقة واستغلال الارض سنويا لابد من استعمال السماد بطريقة علمية وبالشكل الذي يلائم التربة ونوع المحاصيل الحقلية التي تزرع في الارض مع ملاحظة طريقة اروائها وغيرها من الامور التي يحددها الاخصائيون بالزراعة الحديثة .

ب ـ انواع المزروعات :

تقسم المزروعات في المناطق الكردية الى ثلاثة انواع : المحاصيل الشتوية ـ المحاصيل الصيفية ـ ويلحق بذلك نوع ثالث وهو غرس البساتين .

فالمحاصيل الشتوية غالبا وبالاحرى في اكثر المناطق تعتمد على الامطار وفي مناطق قليلة معينة تروى المحاصيل الشتوية في ايام الحاجة وحسب نوعية المحصول وان زراعة الحنطة والشعير والحمص والعدس والهرطمان والذرة غالبا ما يعتمد على مياه الامطار ، وبجانب المزروعات المذكورة هنالكمزروعات اخرى شتوية من نوع الخضروات كالباقلاء والسلق والبصل وغيرها عادة يتم زرعها ريا .

اما المحاصيل الصيفية التي تزرع بواسطة اروائها بالمياه وهي الرز والتبغ والقطن والسمسم وأنواع مختلفة من المخضرات .

ويلاحظ بالنسبة لمجموع الاراضي التي تزرع بصورة عامة ان مجموع الاراضي التي تزرع بمياه الامطار اي ديما عدة اضعاف الاراضي التى تزرع بالارواء من حيث المساحة ، لذا نلاحظ ان المناطق الكردية تتوفر فيها المحاصيل

التي تزرع ديما اكثر من انواع المزروعات الاخرى ، ولذلك فان الحنطة والشعير هما المحصول الرئيسي في اكثر الاقاليم .

فالمعروف ان منتوجات الحنطة والشعير والحمص والتبغ والعدس والقطن من اهم المحاصيل التي يزيد انتاجها عن حاجة السكان المحليين لذا فمنذ الازمنة القديمة تصدر المنتوجات المذكورة من المناطق المذكورة الى ما جاورها في الغالب واحيانا يتم تصديرها للخارج .

وفي الآونة الاخيرة جربت بعض المحاصيل الزراعية وتمت عملية زرعها بنجاح ومنها قصب السكر وانواع جديدة من المخضرات وغيرها .

لقد نوهنا بأن الحقل الثالث في المجال الزراعي لدى المواطنين الاعتماد على المغروسات وغالبا ما تكون تلك الاشجار من النوع المثمر وأحيانا تكون من الصنف الذي يستفاد من اخشابه لاغراض البناء والاثاث وغيرها .

فزراعة او غرس الاشجار المثمرة ايضا اما ان تكون من المحاصيل المعتمد غرسها على الارواء اي مائيــة كالجوز والخوخ والكمثرى والعنب والتفاح والتين والتوث وغيرها كما هنالك اشجار تثمر ديما اي معتمدة على مياه الامطار كشجرة السماق واللوز وانواع اخرى من العنب والتين ونوع خاص من الكمثرى .

فان زراعة الاشجار على الطريقة الديمية لا توجد في كافة الاجواء فعلى ذلك ان هذا النوع من البساتين الديمية لا يتوفر الا في محلات معينة يتسم مناخها بالبرودة صيفا .

لم نذكر كافة انواع المحاصيل الزراعيــة وانمــا اقتصرنا على ذكر اهم المزروعات دون غيرها وكذا الحال بالنسبة للبساتين .

وبجانب المحاصيل والمنتوجات المذكورة هنالك محاصيل زراعية او غير زراعية تنمو بصورة طبيعية وبالاخص في المناطق الكثيفة بالغابات •

جـ ـ الادوات الزراعية :

لست بصدد البحث عن الادوات الزراعية التي كانت تستعمل في السابق لغرض الزراعة ولا تزال آثار استعمال تلك الوسائل باقية في بعض انحاء كردستان ولكن بمضي الزمن لابد ان هذه الوسائل تتطور مع تطور المدنية الحديثة •

ان الوسيلة التي كان يستعان بها للاعمال الزراعية على مختلف انواعها هي الحيوانات وبالدرجة الاولى البغال في المناطق السهلة والثيران في المناطق الجبلية ، ان الحيوانات المذكورة وغيرها كانت تستعمل لاغراض الحراثةوتهيئة ونقل المحصول من الارض للقرية وكذا تصفية المحصول ، وهكذا فالحيوانات هي الوسيلة الفعالة في الاعمال الزراعية منذ الابتداء بالزرع لحين تصفية المحصول ووضعه في المخازن •

وان الارض كانت تحرث بمحراث محلي مركبا من عدة اجزاء قسم منها خشبي وقسم حديدي فالمحراث الكامل مع الدابة او الدابتين التي تجره كاملا يسمى (فدان) ، وباللغة الكردية (جوت) ، ويعتبر هذا الفدان الوحدة القياسية لامكانيات المزارع حول زراعة ارضه •

فبناء على ما تقدم فامكانية كل مزارع كانت محدودة ومعلومة بقدر عدد الافدنة يتناسب ومقدار الارض التي بحوزة المزارع •

اما المحراث فكان يتركب من عدة اجزاء فالقسم الحديدي يسمى باللغة الكردية (گاسن) ثم القسم الخشبي الرئيسي ويربط بـه القسـم الحديدي المذكور ويسمى (هەوجار) وبعد تركيب القسمين كان (هەوجار) يربط بخشبه اخرى طويلة تسمى (مثران) وهذا القسم الخشبي كان يربط بواسطة حلقات خشبية تسمى (گوپەلان) وحلقات مصنوعة من اللباد ومغلفة بقماش او اجزاء قديمة من الافرشة تسمى (بن‌مل) وبواسـطة الاجهزة المذكورة يربط القسـم الاعلى من المحراث بعنقي الحيوانين والقسم الاسفل يوضع على الارض، وبعد قيام الفلاح أو العامل الزراعي بربط الاجزاء المذكورة كاملـة كان يلزم رأس المحراث بخشبة مربوطة به وبواسطة هذا الخشب الذي يسمى (استدو) •

فالعامل الزراعي يوجه المحراث للاسفل او للاعلى حسب الحاجة ويشغله بسوق الحيوانات بيده الاخرى وهي تجر المحراث الذي لاينفك من الحيوانين قطعا الا في حالة كسر بعض الاجزاء وفي هذه الحالة يرجع للقرية لجلب الادوات الاحتياطية أو تكون معه بعض تلك الادوات بامكانه تصليح المحراث محلياً على الارض •

فالارض الصغيرة تحرث مباشرة والارض الكبيرة مع ملاحظة عدد الافدنة التي تشتغل فيها وتقسم الى أقسام وتحرث خطوط مبدأية فتزرع أو تحرث كل مرة قطعة من الارض تسهيلا لتنظيم الحراثة او الزرع وان الخطوط المذكورة تسمى باللغة الكردية (لات) وان العامل الزراعي يوجه الفدان بجهازه الكامل المكون من الحيوانين غالبا وهما يجران الاجهزة الخشبية والحديدية المذكورة فالقسم الحديدي يغوص في الارض بالشكل الذي تحتاجـه الزراعة من حيث العمق او حرث الارض او قلب الحراثة من وجه الى وجه او تغطية البذور حرثا ومقدار ، وكيفية الحراثة ونوعيتها معروفة لدى (جوتيـار) العامل الزراعي

وتختلف باختلاف المحصول ونوعية الارض والغاية من الحراثة ويستمر الفدان في العمل ، منذ الفجر الى قبيل الغروب وعند توقف الحيوان جزئيا يبدأ العامل الزراعي بسوقه او دفعه للعمل بواسطة خشبة خاصة تسمى (دار جوتيار) •

هذا نموذج من الجهاز الخاص بالحراثة واعتقد بأن هذا الجهاز انقرض في المناطق السهلة في مدى قريب فلربما لفترة زمنية اخرى تبقى آثاره موجودة في بعض المناطق الجبلية •

هذه الادوات المستعملة في حراثة الارض وبذرها، اما بذر الحبوب فتنشر بواسطة اشخاص مختصين بهذا العمل ويضعون البـذور في قمـاش مربوط بجسمهم يمسكون احد طرفيه بيد وباليد الثانية يقوم الشخص ببذر الارض وهذا القماش يسمى (به رام پيل) اما الشخص الذي يبذر يسمى بـ (تودەر)•

فعلى هذا المنوال يجري اعداد الارض لغرض الزراعة وبالاخص الحنطة والشعير وان الجهاز المذكور يستعمل لغرض حراثة الارض وزرعها بالنسـبة الى كافة المزروعات الاخرى •

فالمرحلة الاخرى هي صيانة الزرع ، كان صاحب الارض يتخـذ التدابير اللازمة لصيانتها من التلف لحين نضوجها وبالاخص محافظة الزرع والمزروعات الاخرى من دخول الحيوانات للمزرعة ومن الآفات الاخرى •

نضوج الحاصل :

عند نضوج الحاصل ، حصاد الحنطة والشعير يجري بواسـطة المنجـل ويسمى باللغة الكردية (داس) وتستعمل الآلة باليد فكلما كانت الارض واسعة او الزرع كثيرا فان عدد الحاصدين يكون اكثر ، اما حصاد الحمص والعدس

والشلب فلا يستعمل المنجل وانما تستعمل لهذا الغرض آلة اخرى تسمى (داسوك) •

اما جني ثمار القطن والتبغ فيكون باليد المجردة عادة وكذا اقتطاف الاثمار من البساتين ، الطريقة المتبعة جني الثمر باليد •

وبالنسبة للحبوب عامة وبالاخص بالنسبة للشعير والحنطة فبعد اتمام الحصاد ينقل الى القرية على الدواب الى محل البيادر ويسمى (جوخين) وان محصول الحنطة وسائر الحبوب الاخرى تتكون في بيدر او بيادر عديدة تداس اولا من قبل عدد من الحيوانات تدور في فلك خشبة مرفوعة في وسط البيدر وتربط الحيوانات بحبل الى العمود المذكور فيداس الزرع المحصود فيتكسر جيل الزرع بهذا الشكل بغية تصفية المنتوج من التبن وهذه العملية تسمى (گيره) وبعد هذه المرحلة يداس البيد، مرتين بواسطة آلة خشبية فيها أسنة من الحديد ويجرها حيوانان يربطان بنفس العمود في وسط البيدر وهذه آلة تسمى (جەن جەر) ففي المرحلة الاولى يسمى الحاصل ــ قرشه كوت ــ وفي المرحلة الثانية يسمى ــ ورده كوت ــ وبعد ذلك يصبح الحاصل جاهزا للتذرية بواسطة الهواء وآلة خشبية يستعملها المزارع وتسمى ــ شه‌نه ــ وهذه الآلة من الخشب وذات أسنة خشبية يذر بواسطتها المحصول وتفصل الحبوب كالحنطة والشعير او العدس او غيرها من التبن الذي يجتمع بجانب آخر •

وبعد تقسيم الحاصل ينقل كل حصته الى داره او مكان للخزن وعند كثرة الحبوب لدى احد المزارعين فيخزن لدى المزارعين الصغار في حفر تغطى بشكل فني بحيث لا يؤثر عليها المطر ويسمى محل الخزن (چال) •

واذاكان المزارع من كبار المزارعين فيخزن الحبوب في اعماق تحت الارض لا يصل عمقها الى مستوى الماء في الحفر وان الاعماق المذكورة تبنى حيطانها بالطابوق الآجر المشوي وعلى شكل بئر ويملأ بالحبوب ويوضع فوقه التبن ثم كمية من التراب ثم كمية من جيل الزرع ثم يسقف بشكل لا يؤثر عليه المطر وان مثل هذه الآبار اشبه شيء في عصرنا هذا بالسايلوات ، ومن الممكن الاحتفاظ بالحبوب في مثل هذه الابار لمدة ثلاث سنوات احتياطا لطوارىء القحط او الغلاء في السنين المقبلة •

اما التبن فيحفظ في محلات خاصة تسمى (له وده) وكان يستفاد من التبن لعلف الحيوانات ولاجل التدفئة والطبخ في المناطق الكردية البعيدة عن الغابات وان الحصاد بشكله الحالي بالطريقة الآلية في الوقت الحاضر مما يسبب عدم الاستفادة من التبن بينما من الضروري الاستفادة من المادة المذكورة حيث ان في العصر الحاضر من الممكن الاستفادة من مادة التبن في مصنوعات كثيرة •

هذه هي الآلات الرئيسية التي تستعمل في الاسلوب الزراعي القديم في كردستان في الدورة الزراعية الكاملة بالاضافة الى آلات اخرى كانت ولم تزل تستعمل لاغراض الزراعة والبساتين كالمعاول والمجارف والآلات الحديدية الخاصة بقطع الاشجار وغيرها من الآلات اليدوية القديمة •

د ـ كيفية مكافحة الآفات الزراعية :

لم يترك الاكراد القدماء الزراعة بصورة طبيعية وانما قاوموا كل مايعترض الزراعة من الآفات الطبيعية ووضعوا بنتيجة اختباراتهم الطرق الفنية الكفيلة بمكافحة تلك الآفات فعلى سبيل المثال نذكر فيما يلي بعض الطرق التي كانت

تكافح بها الآفات الزراعية بالنسبة لمكافحة الديدان في المزارع او البساتين كانت تستعمل مواد سامة لقتل الديدان فيما اذا كانت بكثرة ووجودهـا يصادف في موسم الثمر او الزرع •

وبالنسبة للفئران التي تحفر الزرع والبساتين كانت هنـالك طريقتـان لمكافحتها اما وضع سموم او قتل الفئران بالآلات الحادة ، وبالنسبة للجـراد والطيور الطارئة على الزرع او الخنازير التي تتلف الزرع يستعمل ضرب الطبول وكانت البندقية ايضا اداة لمكافحة بعض تلك الآفات التي تطـرأ على الزرع وتضره •

وبالنسبة لمكافحة الجراد ايضا كانت تستعمل قطع اخشاب عليهـا بعض الاقمشة لمطاردة الجراد •

هذه نماذج للاساليب القديمة لمكافحة الآفات الزراعية في المناطق الكردية وان تلك الوسائل تتطور من احسن الى الاحسن عبر التاريخ بنتيجة دراسات واختبارات محلية كما ان صيانة الزرع والبساتين في بعض المناطق كانت بحاجة لمحافظتها او اتلافها من قبل الحيوانات او من سرقة المحصول او قطع الاشجار بنتيجة الخلافات الشخصية فالطريقة الوحيدة لصيانة الزرع كانت ولم تـزل الحراسة ليلا او نهارا حسب مقتضيات الاحوال •

هـ ــ العلاقات الزراعية :

لم تكن الاراضي قديما في المناطق الكردية مملكة او مفوضة قبيل قيام الدولة العثمانية بتحرير الاملاك والاراضي وتفويض قسم منهـا للمستحقين قانونا بالطابو واول عملية من هذا النوع كانت في القرن الثامن عشـر • ففي الازمنة الغابرة كانت الاراضي مقسمة بين مستثمري الارض المباشـرين وهم

صغار ملاكي الارض وكانوا يسمون بالفلاحين • ولعبارة الفلاح في المناطق الكردية مدلول آخر يختلف عن مدلول كلمة الفلاح في بعض المناطق الاخرى في العراق وبجانب صغار مستثمري الارض كان هنالك كبار المزارعين سواء كانوا في المدن او في المناطق القروية او الريفية وكانت الاراضي تباع وتشترى ومن جراء العملية المذكورة ظهرت طبقة ثالثة اعتبرت من كبار ملاكي الارض فكانوا يستثمرون قسما من اراضيهم والقسم الآخريوزعونه على الفلاحين لقاء حصة معينة من الغلة تعطى لملاكي الارض وكانت حصة الملاك عادة في الاراضي الديمية تتراوح بين ثمن الى العشر من المحصول وفي الاراضي المائية كانت حصة الملاك لا تتجاوز الثلث •

فان صغار مستثمري الارض سواء كانوا من الفلاحين او من ملاكي الارض الصغار يستثمرون اراضيهم بواسطة افراد عائلتهم فالوالد والاولاد وزوجات الاولاد وغيرهم من افراد العائلة كانوا يشتركون في الاعمال الزراعية•

علما بأن هنالك قسما من مستثمري الاراضي هم غير ملاكين ومع ذلك كانوا يشتغلون عمال زراعيين لقاء اجور معينة وهكذا صغار وكبار مستثمري الارض يستخدمون العامل الزراعي في اعمالهم لقاء اجور مقطوعة •

ففي الزراعة الشتوية لمدة ستة اشهر يستخدم العامل الزراعي لقاء اجرة مقطوعة وتسمى جوتيار وتنتهي المقاولة الزراعية مع العامل الزراعي قبل موسم الحصاد بخمسة عشر يوما وللعامل الزراعي بجانب اجرته قطعة من الارض تزرع على حساب المزارع وتسمى (شكارته) فعند انتهاء الموسم الاول فالعامل الزراعي يكون حرا وبامكانه الانتقال الى مزرعة اخرى او الاستمرار في العمل في فصل الصيف والخريف عند الفلاح او عند المالك او المزارع لقاء اجرة معينة

قسم منها مقطوعة وهي مقدار من الحبوب والنقود وللعمال الزراعيين جميعا حصة من المنتوج تتراوح بين خمس الى سدس المحصول وهم القائمون بالحصاد (سه پان) • بالاضافة الى ما تقدم فان مسكن العامل ومواد التدفئة تجهز اليه من قبل الفلاح او المزارع صيفا وشتاء •

فالعامل الزراعي ينحصر عمله غالبا في حراثة الارض ثم مكافحة الآفات الزراعية في المزرعة والقيام بالارواء اذا كانت مائية وصيفا في حصاد المنتوج ونقله وذره الى ان تتم عملية تقسيم المحصول وخزنه •

وكان عددهم قبل انتشار المكائن الزراعية كبيرا في المزارع والقرى الكبيرة وبعد ظهور المكائن الزراعية وخلال الثلاثين سنة الاخيرة قل عددهم فكان هنالك غيرهم من المسؤولين عن الاعمال الزراعية في المزارع الكبيرة منوط بهم اعمال زراعية وان لم تكن اعمالهم من صميم الاعمال الزراعية ولكنها ذات صلة تامة به كالسركال الذي يراقب شؤون المزرعة فعادة اجوره تكون اكثر من العامل الزراعي وآخرين من العمال الزراعيين منهم الدائميين كالحراس ومنهم وقتيون ، فالدائميون اجورهم نفس الاجور التي تمنح للعامل الزراعي ، اما العامل المؤقت فتعطى اليه الاجور لايام اشتغاله فقط •

اما في البيئات القبلية قبل اجراء طابو الاراضي في اواخر العهد العثماني كانت الارض المخصصة للعشيرة معلومة الحدود ولا يجوز لاية قبيلة التجاوز على اراضي القبيلة الاخرى ورئيس القبيلة العادل يقسم الارض الزراعية او المراعي بين ابناء العشيرة كل حسب حاجته وقابليته للاستثمار او الاستغلال وافراد القبيلة لم يكونوا في حل من التزامات معينة بسيطة تجاه رئيس القبيلة وذلك بتزويده بقسم معين من المحصول الزراعي او الحيواني لقاء قيام رئيس

القبيلة بادارة شؤون القبيلة او اتخاذ تدابير حمايتها من القبائل المجاورة وقيامه بشؤون الضيافة وغيرها •

اما في الزراعة الصيفية فان العلاقات الانتاجية المرسومة وفق العرف القديم لم تكن تختلف اختلافا جوهريا عن الزراعة الشتوية في كيفية الاستثمار فالمالك الزراعي كان يستثمر الارض بواسطة العمال الزراعيين المتمكنين الذين يقومون باستثمار الارض لقاء دفع حصة للمالك لا تتجاوز ثلث المحصول في التبغ والشلب والقطن وغيرها ، وهنالك طريقة اخرى لا تزال متبعة في بعض المناطق بشأن الزراعة الصيفية التى تعتمد عادة على الارواء بمياه الينابيع او الكهاريز او بالواسطة كالمضخات والنواعير فمالك الارض يعطي ارضه الى ملتزم وعدد من الاشخاص بصفة ملتزمين لسنة واحدة لقاء حصة معينة من المنتوج او من الربح، ففي هذه الحالة كافة المصاريف تكون على الملتزم •

فالاحرى ان يقال بأن الزراعة كانت على اساس رأسمالي بسيط خال من الجشع والاستغلال ، فلم يكن الفلاح او العامل الزراعي ومالك الارض في الازمنة القديمة في طرز معيشتهم ومستوى حياتهم الاجتماعية بون شاسع بينهم غير انه بتقدم المدنية ظهرت بعض الفروق الطبقية وهذا العامل لم يكن ذا تأثير بالنسبة للفلاحين والعمال الزراعيين ومالكي الارض ولم يخل بعلاقاتهم طالما كانت في حدود طبيعية وعادلة الا ان فئة اخرى ولو قليلة اساءت الى هذه العلاقات باستعمال طرق الاستغلال والسيطرة غير الاصولية ، وقد زادت في هذه المرحلة من التعقيد وان بعض رؤساء القرى استغلوا تطبيق بعض القوانين كقانون التسوية واللزمة في العراق وغيرها من القوانين المماثلة في البلاد الاخرى، وهنالك فريق استغل احكام تلك القوانين باستيلائهم على اراضي صغار الملاكين او

المزارعين والاستيلاء على بعض الاراضي الاميرية التي كانت مخصصة مباشرة للفلاحين ٠

وهذه التطورات ادت في فترة من الزمن وبالاخص في العراق الى سوء العلاقات والتفهم بين بعض ملاكي الاراضي والفلاحين وصغار الزراع ولم يكن مردها سوى سوء تصرف بعض ملاكي الاراضي الذين انقلبوا في تلك الفترة ، بعضهم بنفوذهم وبسيطرتهم على اراضي واسعة واصبحوا شبه اقطاعيين وبجانب اولئك هنالك فئة من المزارعين او ملاكي الاراضي من الطبقة الوسطى وحتى كبار ملاكي الاراضي الذين لم يتبعوا طرق الاستغلال بقيت علاقاتهم حسنة مع صغار المزارعين والفلاحين وعمال الاراضي الذين لم يتبعوا طرق الاستغلال بقيت علاقاتهم حسنة مع صغار المزارعين والفلاحين وعمال الزراعة ، وبعد ثورة ١٤ تموز صدر اول قانون للاصلاح الزراعي ووضع حدا للامور المذكورة بعد ان تم تطبيق القانون وبعد تعديل بعض نصوصه لابد وانه سبب الترفيه عن طبقة كبيرة من المواطنين وجعلهم من الطبقة الوسطى في المجتمع ، ثم صدر في سنة ١٩٧٠ القانون الجديد للاصلاح الزراعي وقانون الملكية الزراعية لمنطقة الحكم الذاتي في عام ١٩٧٥ ٠

هذه دراسة عابرة حول موضوع العلاقات الزراعية القديمة واكتفينا بذكرها بصورة موجزة لانني لست بصدد البحث عن دراسة الاصلاح الزراعي أو شؤون الزراعة بالتفصيل وانما الغاية من التطرق للموضوع بقدر تعلق امره بدراستي الاجتماعية للبيئات الكردية ٠

و ــ وسائل الري ومصادر المياه :

رغم كون المناطق الكردية هي الينبوع الرئيسي لكثير من الانهار التي تجري نحو الاراضي المنخفضة في البلاد المجاورة الا ان الشعب لم يستفد من

هذه الثروة الطبيعية النابعة من اراضيه وجباله الا في حالات نادرة والسبب المؤدي الى عدم الانتفاع من مياه تلك الانهار او النهيرات مرورها بعضـا في اراضي ووديان جبلية وليس بالامكان الاستفادة من تلك المياه للري وفي مناطق أخرى تمر تلك الانهار بانخفاض او بعمق كثير وبجانبها اراضي عالية وليس من الميسور الاستفادة من المياه الجارية حتى بوسائل الضخ القديمـة والحديثة ، فهكذا لم يستفد الاكراد من تلك الانهار والنهيرات الجارية وبالاحرى النابعة من بلادهم اية استفادة تذكر عدا الأقسام الجنوبية من المنطقة حيث تمر منهـا بعض تلك النهيرات وبجانبي النهر اراضي منخفضة قليلة المساحة يستفاد من مياه الانهر بعمق معين وبطريقة السيح لعدد من الامتار تبعـد عن ضفة النهر وذلك في موسم الصيف والخريف اي اثناء قلة المياه في الانهر وبعبارة ادق ان تلك الاراضي ما هي الا شواطىء الانهر ولا تتعدى تلك المنطقة المحدودة لعلو بقية الاراضي من مستوى الماء في الانهر وبجانب الطريق المذكور يستفاد احياناً من تلك المياه بواسطة النواعير او وسائل الضخ القديمة او الحديثة بواسـطة المضخات وغيرها لارواء مساحات محدودة ، اما بقية الاراضي المائية الاعتيادية تروى بمياه الينابيع الطبيعية والتي غالبيتها موجودة في القرى الجبلية وفي بعض القصبات او القرى ينابيع لا تكفي مياهها الا لارواء بسيط اي جزء من اراضي القرية وهنالك قرى اخرى فيها ينابيع كثيرة واراضيها قليلة بالنسبة لمقادير المياه وان الزيادة المذكورة من الماء تصب في الوديان المجاورة .

وان مياه الينابيع التي تتواجد بكثرة في المناطق الجبليـة فيستفاد منهـا لزرع وارواء بساتين الاشجار المثمرة كالجوز ــ التوت ــ التفاح ــ الكمثرى ــ العنب ــ والخوخ والرمان وغيرها ، كمـا يتم زرع القطن والشـلب والتبـغ وغيرها من المحاصيل الحقلية صيفا وشتاء .

فمن يزر احدى القرى الجبلية في شمال العراق كقصبة طويلة او بيارة او شقلاوة او احدى القرى في منطقة دهوك او عمادية فيجد بأن نظام الري المتبع للاستفادة من مياه الينابيع مبني على اسس هندسية وفنية وبالشكل المؤدي للاستفادة من مصدر الماء لارواء اكبر مساحة من الارض وبالصورة التي لا تسبب تخريب الاراضي او ملوحتها او احداث عوامل تسهل عمليتي التعرية والتآكل •

ان اساليب الري والطرق المتبعة بشأنها جرت بالشكل الذي يؤدي الى تصريف المياه الزائدة الى الوديان والمجاري التي ما هي الا مبازل طبيعيه لتصريف المياه الزائدة وصيانة الارض •

وبجانب الينابيع الطبيعية واستعمال النواعير على ضفاف الانهر وعلى الآبار المحفورة ، فقد استفاد الاكراد منذ القديم من المياه الجوفية بطريقةحفر الكهاريز وغالبا ان تلك الكهاريز موجودة في الاراضي السهلة باعتبار ان الاراضي الجبلية فيها الينابيع الطبيعية وكان هناك الالوف من الكهاريز في انحاء المنطقة في الازمنة القديمة بينما الآن لم يبق منها الا جزء قليل وأصبحت اكثريتها مطمورة في اواخر العهد العثماني من جراء انهيارها نتيجة لعوامل طبيعية او لعدم تمكن اصحابها من صيانتها وتعميرها او لتعدد الشركاء • فعلى ما يظهر ان هذا النظام قلب اكثر القرى الديمية في المناطق المذكورة الى قرى مائية رغم صعوبة حفر الكهاريز بعد انشائها ، فنظام ريها كان يجري ببساطة وبالاخص ان الاراضي التي كانت تزرع بمياه الكهاريز لنقاوة مياهها كانت بمرور الزمن تصبح خصبة اكثر لقلة ملوحتها بعكس مياه الانهار • اما كيفية حفر الكهاريز مبنية على النظرية الفيزيائية الحديثة اي الاواني المستطرقة، فكانت

الكهاريز تحفر في اراضي اعلى واقع من مستوى ينبوعها وكانت تحفر سلسلة من الآبار احيانا بصورة متوازية مستمرة واحيانا بصورة افقية وان عدد آبار الكهاريز منها ما كان يبلغ المئات ومنها ما كان لا يتعدى العشرات وكانت ترتبط المياه الجوفية المذكورة للابار بعضها متصل بالبعض حتى تصب ماء الآبار بعضها بالبعض الى الحد الذي يصل فيه خروج الماء الى سطح الارض في المفتاح ثم يجري في الساقية وينبوع الكهريز يسمى (سه روجاوه) فهكذا ان القدماء عرفوا نظام الري منذ القدم واستفادوا من المياه بصورة طبيعية بشتى الصور ولم يكتفوا بذلك وانما في التاريخ القديم شقوا الترع والقنوات في بعض الاراضي المنخفضة وقاموا بارواء بعض الاراضي سيحا وان الآثار القديمة لتلك القنوات لا تزال باقية ، الا ان تلك السواقي والقنوات كانت تطمر بين حين وحين نتيجة الغزوات والحروب او خلال الوضع السائد في منطقة من المناطق وبعد فترة من الزمن كان يعاد حفر تلك القنوات •

ويستنتج مما سبق ان الاكراد منذ الازمنة الغابرة عرفوا نظام الري والبزل بشكل فني ان دل على شيء فهو دليل جازم بوجود ونشوء حضارات قديمة في سائر البيئات الكردية القديمة ومجتمعاتها عبر التاريخ القديم •

ز ـ استصلاح الاراضي :

لما كان الاكراد القدماء بحاجة للاراضي الصالحة في المناطق الجبلية اكثر من المناطق السهلة الكثيرة فيها الاراضي بمساحاتها الواسعة،فعليه ان استصلاح الاراضي كان عملية متوفرة في المناطق الجبلية لقلة المساحة كما نوهنا من جهة ومن جهة اخرى لان سكانها مكتظون بكثافة النفوس، فهذان العاملان اديا الى القيام باستصلاح الاراضي الجبلية • وعلى سبيل المثال نذكر بعض الطرق لاساليب المزارعين والفلاحين لجعل الاراضي الغير صالحة ، صالحة لغرسها

بالاشجار وزرعها بشتى الصور ــ احدى الوسائل التي لجأ اليهـا المزارعون القدماء بشأن هذا جمع الاحجار الصغيرة والكبيرة من الاراضي القابلة للزرع وبعد جمع تلك الاحجار توضع غالبا في اطراف الارض بشكل سياج فمن جهة كانت الارض تتخلص من تلك الاحجار وتصبح حراثتهـا وزرعها من السهولة بمكان ، ومن ناحية اخرى السياج المذكور كان يحمي المزرعة او البساتين واذا كانت الارض واسعة جدا او الاحجار صغيرة فكانت تجمع بشكل كومـات احجار بغية استصلاحها ومن الطرائق الاخرى لهذا الغرض بناء جـدران في الاراضي الجبلية والاستفادة من سـفح الجبل بجعل المساحات الواقعـة بين الجدران المتعددة والجبل اراضي صالحة للبساتين او الزرع بتسويتهـا محليا وعند الضرورة جلب التراب اليها من اراضي اخرى ، كما ان الفلاح أو المزارع الحائز على بعض قطع الاراضي في المناطق الجبلية كان ولم يزل يحاول توسيع رقعة ارضه باستصلاح البقع المجاورة لارضه السابقة باسـتصلاحها بصورة تدريجية برفع الادغال والاحجار منها وتسوية الحفر وغيرهـا من العمليات ، وبهذا الشأن لابد من التطرق الى مشاهداتي قبل حوالي(٣٥) عاما عندما كنت موظفا في احدى المناطق الجبلية وقعت منازعة للاراضي بين صـاحبي قطعتين متجاورتين كانت تسويتهما منتهية وتلك الاراضي لها خريطة اصولية وكان معي مساح واهل الخبرة من القرى المجاورة وان مهمتنا هي فض النزاع بين الفريقين بتحديد حدود ارضهما والارض موقعها في سفح الجبل واحدى القطع منها كانت في الاعلى وفي اسفلها القطعة الثانية فأختار المساح بعد مسحه القطعتين لوضع الحد الفاصل بينهما ولم يكن يعرقل عمله سوى ان القطعة الفوقانية العائدة لاحدهما كانت مساحتها اكبر من المساحة المرسومة في الخريطة ولم يبد صاحب الارض ولا مختار القرية شيئا بهذا الشأن فلاحظت ان نوع التربة ولونهـا في

قسم من الارض وطبيعتها تختلف عن الارض الاصلية فأستدركت بأن الارض مستصلحة بعد مسح الارض وتصوير الخريطة المذكورة بعد سنين فسألت من صاحب الارض واعترف بالاضافة لذا جعلنا الارض الثانية لم تتغير اوصافها الواردة في الخريطة مقياسا لتحديد الحدود بين القطعتين هذه الصورة او النوع من الطرق لاستصلاح الاراضي لا تزال متبعة في المناطق الجبلية ، اما في المناطق السهلة كما ذكرت فلم يكن القدماء بحاجة لاستصلاح الاراضي الا نادرا لوفرة الاراضي الزراعية في المناطق السهلة ومع ذلك لم يتوان الاكراد قديما من استصلاح الاراضي وذلك بقلب الاراضي الديمية الى الاراضي المائية عن طريق الاستفادة من المياه الجوفية او شق الترع والقنوات كما اهتم الفلاح او المزارع بتعميق حراثة الارض بغية صيانة تربتها الغنية من عوامل الطبيعة كالسيول وغيرها ولجأ بعضهم الى استعمال الآلات اليدوية لتعمير الاراضي كاملاء الشقوق الارضية او الحفر الناتجة من السيول لئلا تتعرض تلك القطعة من الارض الى عوامل التعرية والتآكل المستمر • فلم يكن درج هذا الموضوع ضمن مواضيع البحث الا بصورة استطرادية بقدر تعلقه بالناحية الاجتماعية ، لذا اكتفي بهذا القدر من البحث بهذا الشأن وان الامثلة المذكورة ما هي الا عينات او نماذج لطرق استصلاح الاراضي من قبل القدماء فقد تطرقنا اليها على سبيل المثال وليس الحصر •

حـ ـ كيفية الاستفادة من المنتوج الزراعي :

ان المنتوج الزراعي في الوحدات الاجتماعية المختلفة كان يمون في العصور القديمة من بعضها الى البعض بطريقة التبادل ومن ثم البيع حيث ان البيئات الكردية تختلف في انتاجها الزراعي من حيث النوعية والكمية فمثلا المناطق السهلة كانت ولم تزل تنتج الحبوب كالحنطة والشعير اكثر من المناطق الجبلية

وفي المناطق والوحدات الجبلية هنالك يكثر انتاج الاثمار والتبغ وغيرها وكانت المبادلة والبيع تجري بين تلك المواد ، ومن جهة اخرى هنالك بعض المزروعات او المنتوجات الزراعية انتاجها بدرجة قليلة لا تكفي سوى للبيئة الاجتماعية المحلية وما جاورها من المدن والاقسام الاخرى وهنالك منتوجات اخرى انتاجها بكثرة يفيض عن الاستهلاك المحلي ويصدر الى المناطق الاخرى •

فمما يجدر ذكره ان المحيط الاجتماعي ككل في العصور القديمة كان مكتفيا بمنتوجاته الزراعية على مختلف أنواعها وتكفي الحاجة المحلية ولم تجلب ولم تستورد المنتوجات الزراعية من المناطق الاخرى الا ما ندر وذلك في حالات القحط او اصابة مناطق معينة بتلف عام من جراء الآفات الزراعية في بعض الاعوام •

بالاضافة الى استفادة الاكراد منذ القدم من المنتوجات الزراعية في مأكولاتهم بشكل طري او مطبوخ فقد شملت المواد الزراعية فن التصنيع واقدم طريقة لحفظ المواد هي تجفيف الفواكه والاحتفاظ بها لفصل الشتاء وتجفيف اللحوم او الاحتفاظ بها بطريقة القلي •

هذه هي الطرق القديمة لتصنيع المواد الزراعية او الاحتفاظ بها وقد تطورت منذ الازمنة الغابرة هذه الطرق الى سبل ارقى منها وذلك بالاحتفاظ بالفواكه على شكل مربيات واخراج الدبس من العنب والتوت وصنع الخل على مختلف انواعه ، هذا بالاضافة الى الاستفادة من الحبوب بجرشها على اشكال مختلفة للمأكولات والخبز والحلويات وغيرها من المواد الغذائية •• الخ •

٢ ـ تربية الحيوانات :

يجزم دارسوا تاريخ الانسان بأن الانسان مارس مهنة تربية الحيوانات قبل ممارسته الزراعة ، هذا رأى اغلبية العلماء وفريق آخر يرى بأن مهنة الزراعة وتربية الحيوانات في أكثر البيئات الاجتماعية نشأت في آن واحد او في اوقات متقاربة وهذا الرأي نراه منطقيا حيث الانسان بعد ان سكن الكهوف على شكل زمر اجتماعية في عهده الاول يعتاش على الاثمار والمنتوجات الطبيعية وصيد الحيوانات وسرعان ماتدرج لمرحلة اخرى وهي ممارسة تربية الحيوانات ورعيها وتأهيلها بجانب ممارسته لحراثة الارض وزرعها وغرس البساتين وقام بانشاء القرى في مرحلة اخرى وفي هذه المرحلة تطور الوضع بعد فترة زمنية الى اختصاص بعض الاشخاص في تربية الحيوانات واختصاص الآخرين في الزراعة وهنالك من لا يزال يمارس المهنتين معا •

فهكذا الاكراد القدماء اعتنوا بتربية الحيوانات كالغنم والماعز والبقر والخيول في قطعان ،فهذه الظاهرة البدائية لا تزال لحد الآن تحافظ على رونقها الفطري بين بعض العشائر الرحالة التي لا تزال في دور الانتقال وبجانب تربية الحيوانات المذكورة اعتنوا بتربية وتأهيل الطيور كالدجاج والديك الرومي والبط والوز والحمام وغيرها من الطيور الداجنة •

ان مربي الاغنام او الماعز والبقر قسم منهم منذ الازمنة القديمة من سكنة القرى والآخرون لا يزالون رحلا ، ومما تجب الاشارة اليه ان عدد ما يملكونه الرحل من الحيوانات يزيد بكثير عن الموجود لدى المستوطنين ، فالقبائل الرحالة الكردية هي زمر اجتماعية لدى تحليلها على ضوء علم الاجتماع نجد ان تلك الزمر من سلالة واحدة من الشعب الواحد واحتفظوا بتقاليدهم وعرفهم المحلي منذ آلاف السنين رغم انتقالهم مسافات طويلة خلال السنة وراء الماء والكلاء

فان لكل قبيلة رحالة مناطق معينة للترحال بموجب مواسم السنة الاربعة فتنتقل القبيلة الى مناطق معينة معروفة في كل موسم الى الجهة المعينة المخصوصة بهم والذي يتوفر في ذلك الموسم العشب والرعي والمراعي الصالحة والماء الكافي لرعي قطعان مواشيهم .

فانتقال هذه الوحدات الاجتماعية المتحركة كما قلنا يجري حسب خطة معينة ولمناطق معينة وفق مواسم السنة الا ان كثيرا من القبائل الرحل كانت تضطر في سنين القحط او شحة المياه في بعض المناطق الى تبديل مناطق رعيهم والانتقال الى محلات اخرى يتوفر فيها العشب والمراعي الصالحة والكافية لحيواناتهم الاليفة .

فيظهر مما تقدم ان حركة العشائر الرحل كانت تسير من خط الى خط تتوفر فيه المراعي والماء من جهة اخرى بالاضافة الى المناخ المعتدل حيث ان اغلبية العشائر المذكورة ترتحل شتاء للمناطق الجنوبية وصيفا الى المناطق الجبلية لاعتدال مناخها . وهكذا فان خصوبة الاراضي وتوفر المياه واعتدال المناخ ان توفرت في ارض ما او منطقة معينة كانت ذات جاذبية للوحدات الاجتماعية المنتقلة اليها وان الرحل المذكورين بالاضافة الى تزودهم بالحاجات المعينة من المدن والقصبات التي كانت قريبة لموقعهم كانوا ينقلون اليها ذهابا وايابا بعض الحاجات من المناطق والمدن التي تقع قرب مسيرة انتقالهم الموسمي وهكذا كانوا اول من وضعوا اسس التجارة القديمة ولا تزال العشائر الرحل في بعض المناطق على سجيتها ، ان لكل من القبائل المرتحلة عاداتها وصفاتها تطرقنا الى نواح منها في بحوثنا السابقة فرغم ما تقدم فان طقوس وعادات الرحل المذكورين نابعة من الطقوس المحلية وغير مختلفة باختلاف المناطق .

وهكذا فان الاكراد منذ القدم امتهنوا رعي الحيوانات وتربيتها وكانوا مستقرين في الوحدات الاجتماعية الثابتة كالقرى والارياف او في الوحدات الاجتماعية المتنقلة كالعشائر الرحالة ، فأستفادوا من المنتوجات الحيوانية كالحليب والدهن واللبن والزبدة والجبن واللحوم وغيرها وزودوا المدن بالمنتوجات الحيوانية المذكورة وغيرها وكانت المناطق المختلفة في اي اقليم من اقاليمها بحاجة لاستيراد الحيوانات أو منتوجاتها وبالعكس فان السكان كانوا يصدرون فائض الاغنام وبالاخص الذكور منها والمنتوجات الحيوانية الى المناطق المجاورة اليهم •

ان مناخ كردستان ومراعيه الخصبة ساعد على تربية الحيوانات وفي السنين الاخيرة لبعض العوامل المحلية ساد بعض الكساد في حقل تربية الحيوانات وبتطور المدنية لابد وان يستفاد من التجارب الحديثة لتكثير انواع الحيوانات وتربيتها وتوفير المراعي لها وغيرها من الامور ذات الشأن بهذه المهنة الاقتصادية التي لابد وان يصاحبها التطور مع الزمن •

٣ ــ الصيد :

ان الصيد اقدم مهنة مارسها الجنس البشري وبالاخص الاكراد حيث ان مناطقهم كانت ولم تزل مكسوة بالغابات ومحاطة بالسهول وتتوفر فيها كافة انواع الصيد وحيث ان هذا الشعب ، منذ آلاف السنين ، قطع مرحلة كبيرة نحو المدنية وشاهد حضارات قديمة ، لذا لم يصبح الصيد في المحيط الكردي حاليا مهنة خاصة وانما يمكن اعتباره على الاغلب هواية رغم القلة القليلة للذين يمارسونه كمهنة •

٤ ـ الاستفادة من منتوج الغابات :

ان المناطق الجبلية في انحاء البلاد كانت منذ الازمنة التاريخية القديمة غنية بالغابات الكثيفة وان اكثر اشجار الغابات الطبيعية القديمة تتألف من اشجار البلوط او العفص وشجرة حبة الخضرة وبعض الاشجار البرية الصغيرة كالكمثرى والصفصاف وفي الغابات المجاورة وفي ضفاف النهيرات وشجرة جنار وهي نوع من الاسبيدار وتكثر في المناطق التي تمر منها الينابيع او المياه كما ان هنالك مناطق معينة توجد فيها اشجار الصنوبر منذ القدم ، هذه هي الانواع الرئيسية للاشجار الموجودة في الغابات ، ونأسف ان نقول ان بعض المناطق الكثيفة بالغابات انقرضت واندثرت فيها غابات واسعة والقسم الآخر لا يزال فيه غابات فسكان القرى واهل الحضر في الازمنة القديمة وخاصة في المناطق الجبلية كانوا يعتمدون على الخشب المستحصل من اشجار الغابات لاغراض التدفئة والطبخ والحاجات المنزلية ولانشاء المباني ، بالاضافة الى صنع اكثر الادوات الزراعية والمنزلية والانشائية من تلك الاشجار .

ومما يجدر ذكره ان اكثرية الغابات اصبحت على وشك الاندثار او الاضمحلال في اواخر العهد العثماني وأوائل العهد الوطني من جراء صنع الفحم ونقله في اشهر الخريف والشتاء الى المدن الكبيرة ولظهور وسائل جديدة للتدفئة والطبخ في السنين الاخيرة من جهة ، ومن ناحية اخرى اتخذت اجراءات مناسبة لمنع مثل هذه التصرفات مع القيام بتشجير بعض المناطق . هذه الاسباب أدت الى نمو الغابات مجددا، ولا شك انها بحاجة الى مدة مناسبة لا تنتعش تلك الغابات على شرط الاستمرار في الاجراءات والاعمال المسرودة .

والغابات الغنية باشجارها تتخللها اراض صالحة لرعي الحيوانات وبالاخص اوراق الاشجار التي تعتبر مادة دسمة لعلف الحيوانات ، والغابات من حيثيات

تكوينها الطبيعي كنز لسكانها حيث تدر عليهم موارد طبيعية كثيرة كالبلوط ــ العفص ــ وحبة الخضرة ــ وتتوفر فيها أنواع من الفطر ومادة (من السمى) والعلج وغيرها التي تعتبر موارد للكسب والمعيشة والتجارة والربح ، وبجانب الغابات هنالك الوديان التي تكثر فيها انواع الاشجار والادغال التي يستفيد منها سكان المناطق القريبة منها • فالغابة الجبلية الطبيعية تسمى باللغة الكردية (دارستان) ، اما الغابة التي يكون موقعها في الوديان تسمى (چم) ، بالاضافة الى ما تقدم فان الاكراد مولعون بغرس الاشجار على ضفاف الانهر والنهيرات والسواقي كأشجار الصفصاف ــ والتوث ــ والاسبيدار ، وتلك الاشجار بعد قطعها تستعمل لتسقيف الابنية وصنع الاثاث والآلات الزراعية القديمة•

٥ ــ التجارة :

لا يخفى لدى القارىء والمتتبع الكريم في العصور القديمة كانت ارجاء العالم الواسعة طرقها غالبا غير صالحة ولم تكن هنالك وسائط النقل السريعة كالقطارات والسيارات والطيارات والسفن والمراكب الحديثة،لذا كانت ممارسة التجارة مهنة بالغة الصعوبة رغم ذلك لما كانت هذه المهنة من مستلزمات الحياة بغية تصدير الاموال والمنتوجات الفائضة عن الاستهلاك المحلي حيث كانت عملية العرض والطلب وفائض الانتاج عوامل تؤدي الى نقل البضاعة الى قطر او اقليم آخر بحاجة الى المواد المذكورة بالاضافة الى عامل الثمن ، ومن ناحية اخرى الحاجة كانت تستدعي جلب الاموال واستيرادها من منطقة اخرى بغية تأمين موارد العيش الضرورية والكمالية •

وكانت القوافل هي الوسيلة الوحيدة لنقل البضائع من منطقة الى اخرى • والقافلة المتكونة من عدد من الحيوانات المحملة (كالبغال او الجمال ـ الثيران او الحصان) مع عدد من المسافرين واصحاب الاموال والحراس، والقافلة تقطع المسيرة في عدة مراحل وعدد المراحل تزيد كلما كان محل الشحن بعيدا عن محل التفريغ تزداد ايام السفر ومراحله • فمثلا كانت القافلة التجارية تتحرك من اربيل الى الموصل ثم حلب وقوافل اخرى من اربيل الى كركوك ـ كهري ـ بعقوبة ـ بغداد •

وقوافل اخرى من السليمانية الى كركوك ـ بغداد ، واخرى من بغداد الى كركوك او خانقين ثم كرمنشاه •

كما ان البريد الاعتيادي في العصور المذكورة كان يرسل مع القوافل ، كانت هذه الوسيلة الوحيدة في المنطقة الكردية لاغراض السفر والنقل والتجارة وتتم العملية ومسيرتها بأيام عديدة فهنالك المسافرين والحراس وهم راكبو الخيول ، اما الاموال فتحمل غالبا على البغال والمسافة تقطع بعدة ايام من نقطة انطلاق السفرة الى المحل المطلوب الوصول اليه ، وفي كل مرحلة من مراحل السفر تبقى القافلة في الاستراحة في بعض القصبات المارة منها الطرق وكانت تتوفر في تلك المدن المحلات لايواء المسافرين وخيولهم تسمى بالمنازل او الخانات •

وهكذا فان الاكراد القدماء عرفوا التجارة الخارجية والداخلية بالمفهوم الحديث رغم اختلاف وسائط النقل والمقاييس التجارية في العهود القديمة عن هذا العهد •

٦ ــ الصناعات المحلية :

في محلات مختلفة من هذا البحث نوهنا بأن بلاد الاكراد شـاهدت عبر التاريخ حضارات قديمة كانت اغلبيتها مدنيات محلية منبثقة من البيئة الكردية وطغت عليها بين حين وحين موجات من الركود او التخلف نجمت عن اسباب محلية و خارجية وان جملة تلك الحضارات القديمة خلفت صناعات يدوية في شتى المجالات مما جعلت المناطق الكردية وسكانها قبل تسرب المدنية الحديثة اليها بلاد مكتفية بحد ذاتها لتأمين كافة المصنوعات التي كان السكان بحاجة اليها كصنع الافرشة والسجاد واللباد وكانت المفروشات والاغطية الاخرى على مختلف انواعها وتسميتها كانت من المصنوعات المحلية ، كما ان كافة ما يتعلق بالنسيج والاقمشة الخاصة بصنع الملابس الرجالية والنسائية المختلفة كانت تصنع بحياكة يدوية محلية ، كما ان سائر الادوات المنزلية كأدوات الطبخ والشـرب وغيرها من المصنوعات اليدوية المحلية ، بالاضافة الى كون كافة الادوات التي تستعمل في الزراعة من صنع محلي ولا تزال آثار تلك المصنوعات باقية في بعض المناطق والقسم الآخر منها في بعض الاقسام وبالاخص في المناطق القروية حتى الوقت الحاضر من لم يترك المهنة المذكورة وعلى نفس الاسـلوب القديم مع اجراء بعض التحسينات فيها وبعبارة اصح هنالك صفارون وحدادون ودباغون وصانعو الاحذية والافرشة والسجاد وصانعو الادوات الزراعية والمنزلية وصناع مختصون بصنع كل ما يتعلق بالمباني والمنشآت وآخرون مختصون بصنـع الخناجر والسكاكين .. الخ .

فهكذا ان تلك الصناعات القديمة لا تزال موجودة وبالندرة وعلى طابعها القديم ، ونعتقد انه بمرور الزمن فان اكثر تلك الصناعات المحلية آيلة للزوال

لذا من الضرورة بمكان العناية بدرس هذا الموضوع دراســة خاصة تفصيلية وتدوين نوع تلك لمواد وتثبيت تطويرها ودراسة تلك الآلات اليدوية والخوض في درس كيفية صنع المواد المذكورة وغيرها كل على انفراد بغية تثبيت هــذه الجهة للتاريخ والمستقبل قبل ان تطغى عليها عوادي الدهر .

ومن جهة اخرى ان تلك الصناعات اليدوية انبثقت عن حضارات قديمــة محلية ولها صلة بالمحيط الاجتماعي وعلى الاخصائيين امكانيــة معرفة مــدى الاستفادة والتمكن من تطوير هذه المهن القديمــة بالشكل الذي يلائم تطور العصر ويسبب رقي لصناعة المحلية ويستفاد منها لاغراض سياحية ومحلية .

٧ ــ هذه دراسة موجزة او مرآة تشع ضوءا على المهن الرئيســة التي كان يمارسها الاكراد القدماء ولا زالوا يمارســون قسما من المهن المــذكورة والقسم الاخر صورته التراثية زالت واصبحت على وشــك الزوال حيث ان المهن المذكورة غالبيتها اصبحت تمارس بصورة اخرى واساليب ووسائل جديدة وبالنسبة للمنتوج الصناعي صبحت نوعية البضاعــة غير البضــائع القديمــة صورة ونوعا .

الباب الرابع

التراث ومفاهيم الاقتصاد ومبادئه

١ ـ دراسة الواقع الاقتصادي :

ان الانسان فيما مضى لم تكن تعنيه الامور الاقتصادية وبالاحرى ان العامل الاقتصادي لم يكن الدعامة الرئيسة او الهامة في المجتمعات القديمة ولم يظهر بنفس المستوى الحالي من الاهميـة نظرا لبساطة المعيشة ذات التكاليف المحدودة ، بينما اصبح الفرد في عصرنا هذا بأشد الحاجة الى المال لسد حاجاته ونفقاته المتعددة والمتشعبة وان الشعوب التي بقى اقتصادها دون المستوى المطلوب قد تأخرت في مضمار المعيشة وبالاحرى اصبح مجتمعها متأخرا بالنسبة الى البلاد الاخرى التي نما اقتصادها عبر الزمن ، هـذا الامر لا يقتصر على الشعوب بل تعداه الى الفرد الذي اصبح لزاما عليه ان يعمل ويكد لنمو دخله ورفع مستوى معيشته بغية ان يكون اهلا للسير في ركاب الحياة الحديثة حيث ان الفرد المحتاج والاسرة المعدومة يبقون متخلفين من الناحية الحياتية ايضا ولا يكفي نمو دخل الفرد وانما من واجبه الالتزام بمبادىء ترشيد الاستهلاك والحفاظ على توازن ايراده مع نفقاته وعلى اسس تنظيم ميزانية سنوية لذلك الغرض بغية ان تبقى الاسرة مكتفية بمواردها وسعيدة في حياتها الاجتماعيـة والعائلية .

٢ ـ المهن الاخرى :

اننا في المبحث الخاص بالمهن اقتصرنا الموضوع على المهن الرئيسـة اي الانتاجية واضافة الى ذلك في المجتمع القديم كان هنـالك ارباب مهن اخرى مختلفة لسد حاجات المجتمع كالنجارين والحدادين والحلاقين وصباغي الملابس (خمجى) واصحاب المقاهي والخانات والخياطين وبائعي الاقمشة والبقالين ـ والقصاب ـ بائع المخضرات ـ وان الطقوس والممارسـات القديمة لبعض المهن القديمة اصبحت ايضا من معالم التراث .

٣ ـ الهجرة الى المدن :

ان كثيرا من سكان القرى والارياف اغرتهم مبـاهج الحياة في المـدن وهاجروا من قراهم الى احدى المدن القريبة منهم تخلصا من عناء العمل الزراعي او غيره . ان مثل هؤلاء لربما بعضهم يحصل على بعض المكاسـب الوقتيـة واعمال هينة ولكن في المدى الطويل يدركون خطأهم ولكن بعد فوات لاوان اي بعد ان باعوا مواشيهم ولربما ارضهم ومسكنهم ، فمثل هؤلاء الاشخاص لو كدوا وعملوا وانتجوا في الريف وتوسلوا الى الطرق الحديثة في الانتـاج مع تنويعه لكسبوا دخلا اكثر بكثير من عيشهم في المدن ، حتى لو فرضنا ان الاجواء الطبيعية جعلت سكان احدى القرى في ضنك من العيش في سـنة من السنين من الافضل على القروي المحتاج العمل مؤقتا في احدى المدن القريبةمع ترك افراد عائلته في القرية ريثما تتحسن ظروفه الاقتصـادية ، وبالاخص في عصرنا هذا اصبح العيش في المحيط القروي له مزايا صحية واقتصادية كثيرة بعد ان توفرت في القرى وسـائل الراحـة كالتنوير الكهربائي واسالة المـاء

والمدارس والمؤسسات الصحية وغيرها واضف الى ذلك الاستمرار في زيادة الهجرة من القرى للمدن مما سبب المشاكل الكثيرة في المدن من جراء زيادة سكانها • كما ان الهجرة من القرية تعني تقليص الايادي العاملة المنتجة حيث ان القروي عندما ينتقل الى المدينة يصبح مستهلكا وبالتالي ان ظاهرة الهجرة تسبب خللا على دخل الشعب بأسره هذا موضوع شائك يحتاج الى بحث مستفيض ومع ذلك لاهميته رأينا من الضروري التنويه عنه •

٤ ــ وسائل الانتاج ومواد الخام :

ان وسائل الانتاج القديمة كانت يدوية بالاضافة الىوجود عدد من الآلات والعدد اليدوية الخشبية او الحديدية التي تصنع بواسطتها البضائع الصناعية على مختلف انواعها منها صنع المفروشات والزوالي والاغطية والاقمشة والصناعات الجلدية وغيرها •

كما ان المواد الخام التي كانت تستعمل للاغراض الصناعية على الاغلب مواد محلية ضمن المنطقة المعنية اما البضائع التي كانت تكاليفها باهضة الصنع محليا لعدم توفر مواد الخام الخاصة بها في المنطقة ، فكانت مثل هذه البضائع تستورد من الجهات الاخرى •

٥ ــ مبادىء التعاون في المجتمع الكرادي هي كما يلي : ــ

ان الوحدات الاجتماعية الكردية كغيرها من المجتمعات القديمةوالحديثة وجدت فيها جذور جاذبية التعاون بين الافراد والجماعات ، كالتعاون بين افراد

الاسرة والطائفة والقبيلة والافراد والجماعات وان عامل التعاون اساس رصين وقاعدة حصينة في كل بنيان انساني يمليه واقع المجتمع وحاجاته والروابط التي تربط الخلايا والوحدات الاجتماعية بعضها بالبعض وهذا التعاون تارة يأخذ الطريق المباشر واحيانا سيكون بطريق غير مباشر لا نرى ما يدعو لضرب الامثلة بشأن الموضوع حيث هنالك مادة خصبة وامثلة كثيرة في بحوثنا السابقة تدل بوضوح على مدى التعاون الذي كان سائدا بين البيئات الجغرافية المختلفة وكذا بين اجزاء تركيباته بصورة رتيبة وقد سمى فريق من علماء الاجتماع هذه الظاهرة بالتفاعل لاجتماعي حيث ان المجتمع جهاز سنده التعاون في نطاق غير محدود ويعمل الافراد لصالح الجماعة وكذلك تفعل الجماعات الاخرى ضمن التركيب الاجتماعي في الوحدات والبيئات الجغرافية المختلفة وليس هنالك نطاق محدد لهذا التعاون في البنيان والكيان الاقتصادي واقرب مثال حول ذلك تقسيم العمل او امتهان كل فريق لمهنة معينة .

فكل فرد من افراد الهيئة الاجتماعية بحاجة ماسة الى اعمال الفريق الآخر وبالاخص في المجتمعات القديمة التي كانت مكتفية بحاجاتها المحلية حيث ان التنظيم الاجتماعي ونسيجه القديم كان ذو معايير ثابتة ومترابطة منها التقاليد والسلوك الفردي ونزعاته والعادات والطقوس التي كان لها تأثير على دفع الافراد والجماعات بجاذبية فعالة الى التماسك والتعاون وكانت سائر العمليات الاجتماعية تحت الرقابة وهذه تبدأ من رقابة رب الاسرة ، والطائفة والقبيلة والمدينة الى ان تصل القمة ونعني بها الدولة وكانت عجلة التعاون من جهة منهلها الجاذبية الاجتماعية وسلوك الفرد ونزعاته النفسية ، ومن جهة اخرى

كانت سلطة الرئيس من القاعدة للقمة تشكل سلسلة ارتباط لغرس وتنظيم ودفع الافراد والجماعات للتعاون بعضهم مع البعض .

وكان مجال التعاون الاجتماعي يشمل كافة مظاهر الحياة بصورة رتيبة في امور الحصاد والزرع ومساعدة البعض للبعض حول الاشتراك في الافراح والاحزان والدفاع عن الجماعة والوطن .. الخ .

وان المجتمع في العصر الحاضر يسير بخطوات واسعة نحو التقدم والتعقيد فليس من السهولة ان تكون الخدمة في مجال التعاون تعتمد على مجرد التقاليد القديمة ، وانما يجب لكل شعب من الشعوب تطوير السياسةالتعاونية في محيطها بشكل حديث بما يتفق مع حاجات المجتمع كتأسيس الجمعيات الثقافية والتعاونية والاستهلاكية وغيرها من المنظمات النقابية والاجتماعية لغرض القيام بواجب التعاون بشكل رتيب بما يتفق مع اماني الشعب وحاجاته على ان تكون مثل هذه المؤسسات تحدث بموجب قواعد وسنن وتستفيد عند احداثها عن مبادىء الحضارة الجديدة مع ملاحظة ظروفنا المحلية وتراثنا القومي في كل خطوة نخطوها في المستقبل عند الاخذ بكل شيء جديد رغم اختلاف الماضي عن الحاضر لا يمكن لنا ولاي شعب آخر ان يقلد غيره بدون تروي ودرس .

فعليه فان مبادىء التعاون الاجتماعي بشكلها القديم يجب ان تكون موضع الاعتزاز والافتخار والتثمين والسير بموجب تلك الاسس ضرورةحتمية لديمومة القواعد التي ترتكز عليها القومية . ورغم ما تقدم يجب الاخذ كما

نوهت بسائر التنظيمات التعاونية الحديثة بالصورة التي تربط الماضي بالحاضر فاذن لنعمل جاهدين من جهة على احياء وتثبيت ركائز روح التعاون السائدة في المحيط العراقي ومن ناحية اخرى يجب ان نفعل اكثر مما نتكلم في كافة مجالات الخدمة الوطنية كتأسيس المنظمات المذكورة وغيرها لاحياء تراثنا الثقافي وتقديم سائر الخدمات الاجتماعية للجماهير واجب وطني يجب الالتفات اليه •

ومما يجب معرفته ان النزعة الفردية او الاقليمية الضيقة او مبدأ اللامبالاة عامل يسبب تخلف مجتمعنا عن ركب الحضارة الحديثة وتوقيف عجلة عملية التقدم •

٦ ـ الطبقات الاجتماعية :

لدى التمعن في التركيب الاجتماعي في كردستان في الازمنة القديمة لا نجد فوارق كبيرة بين الطبقات الاجتماعية ولدى الرجوع الى قواعد علم الاجتماع والاقتصاد لتدليل ما ذهبنا اليه نرى ان الدكتور موريس في مؤلفه علم الاجتماع يعرف الطبقات الاجتماعية كما يلي : ـ (يمكننا ان نصف الطبقات الاجتماعية بأنها اجزاء من المجتمع او مجموعات من افراد يقف كل منهم على قدم المساواة مع الآخر ويتميز عن اجزاء المجتمع الاخرى ، بمعايير لارتفاع المكانة او انخفاضها يقبلها المجتمع او يجيزها) •

ففي داخل كل طبقة مساواة اساسية تعلو على الفوارق الصغيرة وعلى المراتب التي تنقسم اليها الطبقة وليس بين الطبقات ذاتها هوة يمكن ان تعبر

لا بصعوبة. وفي وسعنا ان ننظر الى المسافة والعلو والانخفاض اولا من الناحية الموضوعية اي من وجهة نظر المشهد الخارجي ، وثانيا من وجهة نظر العوامل النفسية التي تكمن من ورائها ففي نظر المشاهد الخارجي تكون الطبقة قبل كل شيء مسألة عريقة في السلوك ، والكلام ، والملبس ، والتعليم، وعادات التعامل الاجتماعي بوجه خاص) .

فان هذا التعريف اخترناه من بين التعاريف الكثيرة التي وردت في كتب علم الاجتماع لانطباقه على المجتمع الكردي اكثر من اي تعريف علمي آخر ورد في لمؤلفات الاخرى ، فالمجتمع الكردي القديم لم يكن كالمجتمع الروماني او اليوناني او اي بلد حضاري آخر فلم تكن هنالك طبقة النبلاء وطبقة العوام حيث ان التركيب الاجتماعي الكردي لم يعرف مثل هذه الفوارق الطبقية ذات الجذور الرجعية ، فالمجتمع الكردي من المجتمعات القليلة في التاريخ الذي لم يعرف كلمة العبيد بمفهومها العام او بأسم عبيد الارض كما كان سائدا في القرون الوسطى في اوربا،فيستدل مما تقدم، لم تكن هناك فوارق طبقية في كردستان بالمفهوم الصحيح ولا نعني بذلك عدم وجود النظام الطبقي بمفهوم اقتصادي وليس الاجتماعي فالبون شاسع بين المفهومين ، النظام الطبقي الاجتماعي يعني بقاء النبيل نبيلا وبقاء ذوي الحرف طبقةاخرى فلم يكن التغيير في المجتمعات البدائية سهلا وبعبارة ادق كان من المستحيل انتقال الفرد من طبقة الى اخرى فان التركيب الاجتماعي الكردي لم يشاهد في تاريخه القديم

منذ فجر التاريخ مثل هذه الفوارق الاجتماعية ، اما الفوارق الاقتصـــادية الطبقية فكانت سائدة في المجتمع الكردي كغيره من المجتمعات ، ولم يكن بين هذه الفوارق قواطع اقتصادية او روح اســتغلالية او احتكارية فالاثريــاء او متوسطوا الحال او ذوو الدخل المحدود لم تكن بين تلك الطبقــات الثلاث في الازمنة القديمة فروق جسيمة في مظاهر الحياة وابهتها ونوع المــأكل والملبس قبل ان يتأثر المجتمع الكردي بالحضارة الغربية .

فان اكثرية الاثرياء كانوا من التجار ، وبجانب التاجر الكبير كان هناك التاجر الصغير ، اما بالنسبة الى ملكيات الاراضي في الازمنة القديمة ، وعلى سبيل المثال كانت هنالك ملكيات متوسطة من الاراضي ، ولم تكن في المــدن فوارق جمة وبالاخص ان الفقير والغني كان يملك دار سكنى ، وبجانب الفئات المذكورة كان هناك اربــاب الحرف المتنوعة فلو قيس دخل تلك الطبقــات الاقتصادية في الازمنة القديمة بعضها مع البعض ، حتى اذا اعتبرنا رئيس احدى القبائل غنيا فان ثروته لم تكن معدة للاستغلال او الاحتكار وانما كان ينتفع منها افراد المجتمع بأجمعهم ، كل حسب حاجتــه . فحصيلة القول ان التركيب الاجتماعي الكردي انسجته الاقتصادية كانت قريبة بعضها من بعض وليس بينها فوارق جسيمة وبالاحرى ان الطبقات الاجتماعية كانت تعتبر في الاغلب الفرد او الاسرة من ذوي الدخل المتوسط ، ومن ناحية اخرى كما ذكرت مما كــانت

الفروق الاقتصادية بين افراد المجتمع في دوائره المكانية سواء في البيئةالحضرية او في البيئة القبلية وفي القرى والارياف والمدن لم يكن المرء يلاحظ فوارق طبقية جسيمة بين افراد الشعب سواء من كان منهم من قطن المناطق الجبلية او السهلة او من قطن واستوطن في المنطقة الكردية على مختلف البيئات الجغرافية فان هذه الدراسة الاجتماعية تنطبق على سكان كردستان بدون تمييزوتفريق كما لم يكن للتقاليد والعادات فوارق بين سكان المدن المختلفة كذلك لم يكن في كافة الاقاليم فوارق وتمييز في القواعد الاجتماعية والاقتصادية .

٧ ــ العملة والتبادل :

ان الاكراد لم يعرفوا النقود في العهود الغابرة من التاريخ شأنهم شأن بقية الامم في فجر التاريخ وانما كانت الحاجات الاقتصادية والمعاشية يمكن الحصول عليها بطريقة تبادل بضاعةبأخرى وكان مقياس المبادلة الكيل او الوزن او العد او استعمال الطريقتين معا وعلى سبيل المثال مبادلة الف عدد من الجوز بمقدار معين من الحنطة او مبادلة ثلاثة رؤوس من الاغنام ببقرة واحدة .

وفي المرحلة الثانية استعملت النقود المعدنية في عصور مختلفة وان هذه المنطقة لم تعرف استعمال العملة الورقية الا اثناء الحرب العالمية الاولى وبالاحرى في السنوات ١٩١٥ــ١٩١٨ اي في اواخر عهد الدولة العثمانية .

وان التحريات الاثرية التي تجرى بين حين وحين في المناطق الكرديةغالبا ما تعثر على انواع مختلفة من النقود والتي تعود لعهود مختلفة ، وقبل العهد

العثماني كانت نقود مختلفة وتعود لدول مختلفة جرى تداولهـا بين النـاس وبالاخص اذا كان نوعها من الذهب والفضة رغم ظهور اســتعمال النقود قبل عدة قرون الا ان ظاهرة تبادل البضائع على شكلها التراثي كانت ولم تزل شائعة وبنطاق واسع لغاية سنة ١٩٤٠ ، وبالاخص ان العشائر الرحالة كانوا يتبادلون البضائع ببضاعة اخرى مع اهل المدن •

اما تحديد الثمن فكان يتغير مع الحاجة وتكاليف الانتاج وكمية المحصول اثناء جريان المعاملة • مثلا اذا كانت المنتوجات الزراعية في ســنة من السنين قليلة وعلى سبيل المثال كان سعر الحنطة يرتفع في السنة التي يكون فيها هطول الامطار قليلا ، وهكذا ان الكيان الاجتمـاعي الكردي عرف هذه المبـادىء الاقتصادية منذ القدم •

٨ ـ **العرض والطلب** :

اذا كانت البضاعة مستوردة من اقليم آخر والطلب كان محدودا فالثمن يكون بشكل اعتيادي ، وحينما تركد تلك البضاعة في الاسواق يضطر التاجر لبيعها بسعر اقل من الكلفة الاعتيادية ، واذا زاد الطلب ارتفع سعر المادة يوما بعد يوم ، ونفس القواعد الاقتصادية كانت سارية على الانتاج المحلي، وبعبارة ادق ان نظرية العرض والطلب الاقتصادية كانت تفعل مفعولها في العهود الغابرة المذكورة كما هو الحال في عهدنا المعاصر •

٩ ـ ادارة الاعمال الاقتصادية :

ان ادارة المزارع والمحلات التجارية وغيرها كانت تجرى من قبل صاحب المحل او الدل مباشرة ، واحيانا من قبل وكيل عنه ، كما ان صاحب المحل كان يستعين بعمال وصناع لمساعدته اذا كانت تجارته او اعماله الاقتصادية على نطاق واسع ، وان فطنة صاحب المحل وذكائه واتقانه للعمل القائم به كانت من الوسائل المؤدية الى فائض من الارباح ونجاح المشروع التجاري وبالاخص ان عامل الثقة كان هو الاساس الجوهري لنجاح المعاملات والمقايضات التجارية ونجاح المشاريع الاقتصادية سواء كانت زراعية او صناعية او تجارية .

كما ان حسن التصرف والاخلاق اللينة بالاضافة الى عامل الثقة مما ادى بأن تتم بعض المعاملات بطريقة النسيئة ولاجل معين فاذا تمكن المدين من ايفاء ما بذمته من الطلب في الاجل المطلوب كان يكتسب السمعة الحسنة بين ارباب العمل والتجار وكانت العقود التجارية والمعاملات غالبا ما تتم بصورة شفهية ونادرا امام شاهدين معروفين او ــ كتابة ــ ان توتيق العقود اي توقيعها يتم باستعمال الاختام حيث في العهود ما قبل ١٩١٠ لم تكن توقع الرسائل او العقود بالتواقيع ، كما ان التوقيع ببصمة الاصابع لم تأخذ طريقها الى الاستعمال في العراق الا بعد سنة ١٩٢١ .

١٠ ـ المحلات التجارية :

ان اكثر المهن كانت تمارس في المحلات العامة اي في الاسواق ، حيث كان يوجد في كل مدينة سوقا يحتوي على عدد كبير من الدكاكين في العصور

القديمة جدا وان اكثرية ارباب المحلات كانت البناية او الدكان التي تمارس فيها النشاط الاقتصادي ملكا شخصيا لهم وكلما مضى الزمن اصبحت اكثرية تلك الاملاك تعود الى ملاكين يحوزها او يشغلها ارباب المهن عن طريق الايجار، وهكذا الحال ايضا بالنسبة للمحلات التي تمارس فيها الاعمال الصناعية ،ورغم ذلك كان بعض ارباب المهن يمارسون العمل في دور سكناهم وتلك الاعمال هي الحياكة ـ النسيج ـ صنع السجاد .. الخ . وفي المدن الكبيرة كان ولم يزل فيها اسواق مسقفة وتسمى (بالقيسرية) ، اما المقاهي كانت اكثريتها في الساحات العامة ، وفي الاسواق عدد من المطاعم الصغيرة حيث ان اكثرية المسافرين كانوا يمكثون ويتناولون الطعام في المضايف الخاصة .

١١ ـ الاكتفاء الذاتي :

في الازمنة الغابرة ، من اهم المبادىء الاقتصادية المرتكز عليها ، مبدأ الاكتفاء الذاتي في كل منطقة محدودة المعالم لصعوبة نقل الاموال من جهة الى اخرى ولعدم وجود وسائط النقل المتيسرة في عهدنا المعاصر واضف الى ذلك وعورة الطرق ، وهذا العامل ادى بدوره الى تنوع الانتاج الزراعي والصناعي في حدود الامكانيات الطبيعية ضمن منطقة كل مدينة معينة مع ما يحيط بها من القرى ، حيث ان سكان القرى كانوا يكتفون بما لديهم من المنتوجات الزراعية والحيوانية وبالنسبة لبقية الحاجيات مرجعهم سوق المدينة المجاورة .

واضف الى ذلك ان خزن المواد الغذائية كالحبوب والدهن وغيرها لمدة سنة واحدة او اقل كانت من ضرورات الحياة وبالاخص في المناطق التي تنزل بها الثلوج الوفيرة .

وان سكان هذه المناطق كانوا يتقنون تصنيع بعض المواد الغذائية لتكون ملائمة وتصلح للخزن والطرق المتبعة لذلك استخراج العصير (كصنع الدبس) او التجفيف بالنسبة لحفظ الخضروات والفواكه ـ او حفظ المادة بواسطة تمليحها لغرض خزنها وحفظها من الفساد .

بالاضافة الى ما تقدم ان الحبوب وغيرها من المواد بعضها كانت تخزن في خزانات مصنوعة من الطين الاحمر وتسمى (كه ندو) ومثل هذه الخزانة المصنوعة من التراب داخلها مصون من الحرارة الشديدة .

هذه هي الملامح التراثية حيث لم تكن هنالك الثلاجات ولا المجمدات ولا المأكولات المعلبة قبل سنة ١٩٥٠ في المناطق الشمالية من العراق .

١٢ ـ هذه الفقرة هي الاخيرة من هذا المبحث الذي حاولنا ان نرسم فيه الملامح القديمة للاقتصاد ومبادئه في ربوع كردستان وقد سردنا في الابواب السابقة القصة الكاملة لحياة الانسان المعيشية والوان الحياة ومستلزماتها في هذه المنطقة وبالاحرى ان هذا البحث يعتبر جانبا من جوانب التاريخ القديم الحاوي على التراث الاقتصادي للشعب الكردي الذي عاش في موطنه عبر التاريخ وفي بلاد ومنطقة من العالم اسبغ عليها الباري بنعمته بتوفير الخيرات الطبيعية مع جمال الطبيعة وسحرها الخلاب ومناظرها الجميلة والماء والخضراء والوجه الحسن .

المصـــادر

اسم الكتاب　　　　المؤلف　　　　الملاحظات

١ ـ التحليل الاقتصادي ، الدكتور محمد علي الليثي ، الجامعات المصـــرية ، طبعة ١٩٧٥ .

٢ ـ تنمية الموارد البشرية ، تأليف ج دولاس وزملائه ، ترجمـة عمر قبـاني ، القاهرة ١٩٦٦ .

٣ ـ التنمية الاقتصادية ، تأليف ان.زوك ، ترجمة عمر قباني القاهرة ١٩٦٣ .

٤ ـ الاقتصاد السياسي ، الدكتور عبدالكريم الرفاعي ، القاهرة ١٩٣٨ .

٥ ـ بحوث اقتصادية ، الدكتور احمد محمد ابراهيم ، القاهرة ١٩٣٦ .

٦ ـ رواد الادارة والتنظيم ، د. ارنست ديل ، ترجمـة دكتور حسين عمر . القاهرة ١٩٦٤ .

٧ ـ القانون الاقتصادي الرأسمالي ، تأليف ا. الكيف ، مطبعة التمدن بغداد.

٨ ـ الموارد الاقتصادية ، تأليف دكتور محمد ازهر السماغ ، جامعـة الموصل ١٩٧٩ .

٩ ـ روح الاجتماع ، دكتور جوستاف لوبون ، ترجمة احمـد زغلول باشـا ، القاهرة ١٩٠٩ .

١٠ـ الانسان ، تاليف اليس كارل ، ترجمة اسعد فريد، طبع مؤسسة المعارف بيروت .

١١ـ المدخل الى علم الاجتماع ، ارمان كوفلبه ، ترجمة ومنشورات عويدات بيروت ١٩٨٠ .

١٢ـ علم الاجتماع ، الاستاذ نيقولا الحداد مصر ١٩٢٥ .

١٣ـ الاقتصاد السياسي ، الدكتور عبدالحكيم الرفاعي ، القاهرة ١٩٣٨ .

١٤ـ ملاحظة المصادر اعلاه :

ملاحظة المصادر اعلاه :

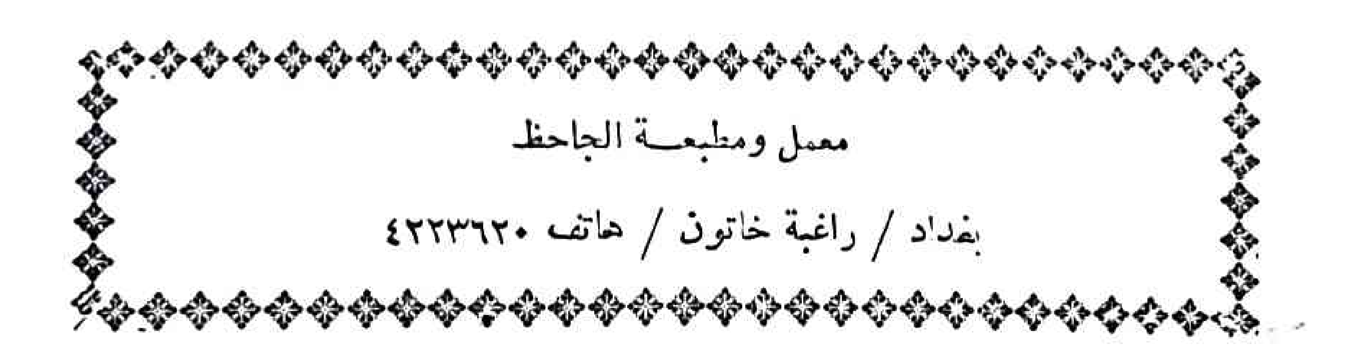
هي مصادر اسنادية ولم تكن ينبوعا لاستخلاص المعلومات التي تم تدوينه على اساس المظاهر التراثية القديمة كما ذكرنا تم انتقائهـا عن طريق الملاحظة والمشاهدة والمعلومات الشخصية ، والاستقراء والاستنباط واخبار اخرى تلقيناها من الرواة في حينه الذين كانوا من المعمرين .

* * *

الفهرست

* * *

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٥٩ لسنة ١٩٨٧


معمل ومطبعـة الجاحظ

بغداد / راغبة خاتون / هاتف ٤٢٢٣٦٢٠

سعر النسخة ٨٠٠ فلس

معمل ومطبعة الجاحظ
بغداد / اعظمية - راغبة خاتون
هـ : ٤٢٢٣٦٢٠